مقدّمة

كتبت روايتين سابقاً و كانتا واقعيّتين و لم أتبحّر في خيالي بما فيه الكفاية

لكن هذه المرة سرحتُ في عوالم الخيال و اخترتُ لك عشر قصص من مخيّلتي ..

قصص يتسللّ إليها عنصر الجريمة .. و قصص يتسرّب إليها عشق مجنون

نهايات صادمة « قد » تُحدث لديك تلك الرعشة الجسمانية الجميلة بعد صدمة لم تتوقعها ..

هناك قصص لم تكن بالمستوى المطلوب و قصص امتازَت عن باقي أخواتها

و إنّي لمن واجبي أن أقدّم ملاحظة ضرورية كل الضرورة لقاتلتي في هواها : وردَت في هذه القصص الكثير من

(فاتنة .. جميلة .. مثقفة .. إلخ)

و بما أننا « شخص واحد » فإنّي لأغار على نفسي من أن أصف فتاة غيرها بتلك الصفات .. لذا .. كلّما ذكرتُ صفة

حَسَنة في إحدى الشخصيات الأنثوية اعتبري هذه الصفة أطلقتها عليكِ لا عليها .. فلا أرى أنثى غيركِ

و إنّي لعانيتُ كثيراً في هذه المجموعة القصصية من كوني عندما أحاول تخيّل وجه بطلة حسناء للدور لا يعطيني خيالي وجهاً سوى وجهكِ .. كأن عقلي يخبرني ألّا جمال غيركِ .. أو أنكِ الجمال فلا أرى سواكِ إن أردتُ جميلاً

هذه المقدّمة لا أكتبها سوى لأشكركِ فيها ..

لولاكِ ما فاح الشذى في أحرفي ..

و لا حكى الهزار قصائدي و ترنّما ..

لولاكِ ما غنّى العندليب شعري

و لا روى الربيع عنّي ما روى

لولاكِ ما بقيتُ في عالمي

و لا قَصُرَ حبل المشنقة منّي

و لا خرج منّي بيت شعريّ واحد ..

لولا تلك العاطفة الحنونة التي تملئيني بها ..

و لولا ذلك الحب الملتهب الذي تبثّينه في جسدي هذا

.. لولاكِ لما كتبتُ حرفاً .. لا أقصوصة و لا قصة و لا رواية .. لولاكِ .. لما كانت هذه المجموعة من القصص بين يديكِ الآن ..

لولاكِ .. ما رسمتُ و لا أمسكتُ قلماً .. فإني لأحب الرسم لأرسمكِ و أجمّل البيت بمحيّاكِ الحوريّ ..

لولاكِ ما طلعَت عليّ شمسي و لا ظهر لي قمري ..

لولاكِ ما شعرتُ بتلك السعادة اليومية و ذلك الأمل للحياة

ما أنتِ إلّا حوريّة .. بذلك الشعر الحريريّ الذي دائماً ما سرق لبّي و حاوطه بخصلاته ..

آه كم أتمنى إدخال وجهي بين تلك الخصل البنيّة المشتعلة بنار شوقي .. لأنام و أغفو إلى الأبد ..

كم أتمنى شيئاً من لعابكِ لأتذوق ماء الحياة الشهيّ .. ماء الحياة الذي منه خُلقتُ ..

أترين حضنكِ الفارغ الآن ؟ آه لو أشغله .. لو أنام بين جنبيكِ متشبثاً بكِ " ألّا تذهبي "

لأضع رأسي في مكانه الخاص .. في ربوعه و أمانه .. في ملجأه .. في حضنكِ .. لتضعي يديكِ على رأسي و تدخلي أناملك بين خصل شعري و تعبثي به ..

دعيني أغرق و أنام متأبداً .. متآكلاً من الحنان .. لا تدعي أحداً يبعدني عنكِ .. و إن رأونا فاحرصي على الاحتفاظ برأسي بين يديكِ .. قولي لهم : صه ! دعوه نائماً ..

أنتِ وحيدتي و آسرة طفولتي و صباي و شبابي .. فكم هربتُ إليكِ لاجئاً من عالمي .. و كم هرعتُ لقدميكِ طالباً الأمان

فلكِ الفضل و كلّ الفضل يا حسنائي .. و لكِ الشكر و العرفان و الطاعة .

- مهيار كريدة

إهداء

إلى التي عندما انطفأتُ .. و حاوطني الظلام .. و أسرني بقيود من سودائه

و ضرب الزمهرير عظامي و كشف عنّي غطائي و هدمَت الرياح مخدعي ..

إلى التي تساقطَت الأمطار و أثلجَت سمائي و غطّت جسدي ..

و تركني الجميع وسط الطريق متكوّراً على نفسي ..

عانقتني إليها .. و أشعلَت نفسها بنيران حبّها لتدفئني ..

و جعلَت من أنفاسها العطِرة الدافئة لهباً يتصادم بعنقي

أحاطتني بشعرها و حمتني من ظلامي .. و تهامسَت إليّ من فمها .. ليتهادى همس صوتها لمسمعي أمناً و سلاما

لأُضيء من جديد .. بعدما انطفأتُ .. لتشعلني مرة أخرى .. نفحات عبيرها و شذاها .. و تبثّ فيّ روح الحياة ثانية ..

إهدائي إلى هذه .. إلى التي أضاءتني من جديد

- وافيكِ وعده مهيار

الفهرس

المشرّد ٧

خائنة ١٩

زائرتي السماوية ٣٠

تحت أغصان الزيتون ٦١

فحوى المقابر ٦٩

في الحلم نلتقِ ٨٩

القبر ١١٧

ضائع في اللامكان ١٢٨

مأساة في الماضي ١٨٩

الرحيل ٢٠٣

المشرّد

في ذلك اليوم الضبابي و تحت غيوم السماء الرمادية كنت أطلب العون من عامّة الناس في الطرقات .. تستطيع أن تسمّيني بالشحّاذ . لم أكن أجني سوى عملات قليلة جداً لدرجة أنّي أكاد لا أستطيع شراء رغيف من الخبز لأشبع بطني .. فكنتُ أبقى أحياناً لثلاثة أيام دون طعام ، و أما بالنسبة لمسكني فلم يكن لي بيت قط . فلا أهل لي و لا أقرباء فكانت الشوارع منزلي و ممكثي الدائم الذي اعتدته و حفظته عن ظهر قلب . بلغتُ ربيعي العاشر صباح البارحة و سعدتُ بذلك لأنّي كلما كبرتُ عاماً تزداد فرصتي للحصول على عمل و لو كان بأجر زهيد

ليالي أيامي دائماً ما تعذّبني و لا سيما فصل الشتاء حين ينخر البرد عظامي و لحمي بثيابي البالية الرثّة التي لم أغيّرها من عامين تقريباً .. هذا أنا و هذا الفقر المدقع ، كثيراً ما تساءلتُ

« مَن قال أن المال قمامة الدنيا ؟؟» « مَن قال أن الفقراء سعداء ؟؟ » الذي قال أن الفقر ليس عيباً أراد أن يكملها و يقول بل "جريمة"

لكن الأغنياء قاطعوه بالتصفيق .. لا أفهم عنصر الخيبة المتجذّر في نفسي و لا أفهم لمَ لم أولد غنيّاً ؟ كما أنني لم أفهم لمَ الأغنياء يترفّعون عنّا بقولهم « أنتم لستم من مستوانا »

انتظر انتظر « هل مستوى الإنسان يحدّده مقدار ملكه من تلك الأوراق الخضراء (المال) ؟» ما رأيك لنلعب لعبة . لنفترض المال حجارة و أن الناس تتعامل و تتداول بالحجارة .. هل سيصبح مستوى الإنسان بقدر الحجارة التي يملكها ؟ ما هذه الأفكار الغريبة

المال هو قطعة من الورق نستبدلها بأشياء نحتاجها .. هذه هي فكرة المال الأصيلة ، صحيح نسيت أن أخبرك .. كان الناس يستعدون لعيد الكريسماس في الاسبوع القادم و لكنني كنت أستعدُّ لـليلة بردها زمهرير و أرضها ثلج و بالتأكيد ستتجمّد أطرافي كما حصل لي العام الماضي

كان البرد يشتدّ يوماً بعد يوم و كنت أحلم دائماً ببيت دافئ حتى و إن كان صغيراً و بأهل و إخوة أشقياء و لكن كان ذلك الإحساس بعيد كل البعد عني أنا الطفل المشرّد ، كثيراً ما رأيتُ تلك البيوت التي يعجّها الأولاد الصغار متحلقين حول المدفأة التي لم أجلس بجانبها سوى مرة واحدة عندما مرضتُ مرضاً شديداً حين انخفض ضغط دمي و سكرّي و سكنتْ أعضاءٌ مهمة في بدني ما جعل الناس تسعفني إلى بيت طبيب بسيط ساعدني و أطعمني و جعلني أجلس بجانب مدفأة بيته و ما أن

تعافيتُ و علم أني مشرد ليس لي مال في جيبي حتى طردني شرّ طريدة

ما بال الناس و ما بال ألسنتهم البذيئة التي لا تحلو سوى عندما يتعلّق الأمر بالمال

لم يكن لديّ أصدقاء طوال سنواتي العشر و لم أكن خليل أحدٍ من قبل و لم أتكلم مع عجوز لأسمع حكمتها و لا مع مشرّد مثلي لأن كل المشردين الذين قابلتهم في حياتي كانوا متعجرفين فوق تشردهم و سيئي الخلق و اللسان و إني لأظن أنهم لو امتلكوا المال لكانوا أشرّ الأغنياء و أوقحهم

حسناً لنعد لموضوعنا ، كنتُ ماكثاً فوق رصيف أحد الطرق مطرقاً مفكراً بطريقة أحتمي بها من الليالي المثلجة القادمة و ما هي إلا دقائق حتى لمسَت يدٌ كتفي .. استدرتُ لأرى طفلاً في عمري على ما أظن . جميل الوجه أسود الشعر و لطيف المحيّا بابتسامة مشرقة مُطمئِنة ، لم أره قبل هذه المرة و لا أظنّه فقيراً فقد كان لباسه نظيفاً حسن المظهر و بعد أن رأى نظرة الاستفهام على وجهي قال بينما همّ يجلس بجانبي :

- كيف حالك

رددتُ بعد أن تأمّلتُ وجهه الذي لم أرى فيه نيّة سيئة :

- لستُ جيداً و لم أكن طوال سنيني

أجابني و هو يضعُ يده على كتفي :

- لا بأس لا بأس يا صديقي أنا أفهمك .. فهذه الدنيا بذيئة فاسدة و لا تستحق الطيّبين فيها

قلتُ بعد شرود و صمت طويل :

- أرى أن الطيّبين هم الذين لا يستحقون هذه الدنيا .. هذا السجن و العذاب الطويل و تلك السنوات التي تجرفهم نحو مماتهم المجهول و هم آملين حياة سعيدة في الآخرة لأنهم لم يحصلوا عليها هنا .. و لكن لا أعلم ما بعد الموت و لم أذهب لأرى قبل هذه المرة و أظنُّ أن سنين العذاب ستطول و لن يأتي أجلي سريعاً

قال و قد نظر نحو السماء حين كانت تعبر عرباتٌ سوداء بخيول أمامنا :

- لا تضرب كلماتك غيباً و لا تحمّل نفسك عناء البحث عن إجابة للغيب . فالغيب غيب و لن تعرف فحواه حتى تذهب إليه .. الموت لا يمكنك توقع مجيئه .. قد تموت غداً و قد

تموت الآن لهذا لا تفكّر بالمستقبل و فكّر بيومك الحاضر .. بالمناسبة لم أسألك ما اسمك ؟

- اسمي كافكا .. و أنت ؟
- أنا اسمي فرانس
- أين تعيش يا فرانس
- في الحقيقة أعيش في مكان صعب الوصف و صعب التخيّل لهذا أرى أنك يجب أن تغيّر سؤالك هذا
- مع أني لم أفهم .. و لكن كما ترغب . حسناً هل لي سؤالك ماذا تريد ؟

- لم أفهم ..

- أقصد أنّك جئتَ إليّ دون سبب و تكلّمت معي بالرغم أني لم أركَ من قبل أبداً

ابتسمَ فرانس و قال و هو ينظر نحو الطريق :

- ستفهم كل شيء .. لكن ليس الآن عليك أن تنتظر

ردَّ الطفل كافكا بعدم فهم :

- أنتظر ؟ أنتظر ماذا !؟

قال و هو يربّتُ على كتفه و يهمّ قائماً :

- لا تهتم لا عليك الآن .. سأراك قريباً جدّاً مرة أخرى فنحن الآن أصبحنا أصدقاء

و ابتعدَ مغادراً و لم أفهم ما جرى قبل قليل ، أأنا أتوهم أني حصلت على صديق بتلك الطريقة الغريبة أم هذا واقع قد حصل ! لقد قضيتُ حياتي كلّها دون صديق واحد و الآن يأتيني شخص غريب لم ألمح وجهه مرة واحدة و يحادثني و يصبح خليلي ؟! يا إلهي أعتقد أن هذا العالم غريب حقًا .. غريب بمعنى الكلمة و حروفها

في الواقع بالرغم من أنّ فرانس كان صغيراً و نستطيع قول كونه طفل و لكن تفكيره لم يكن يتناسب مع عقله .. كان فكره أشبه بالفلسفة مع أني لا أفهمها لأني مازلتُ في سن مبكّرة

رأيتُ فرانس كثيراً في الأيام القادمة و تجاذبنا حتى أصبحنا صديقين مقرّبين و كثيراً ما تحادثنا في أمور فلسفية لا أفقه بها شيئاً و لكنّي دائماً ما شعرتُ بإحساس غريب تجاه صديقي هذا و لم أستطع فهم ذلك الإحساس ، فلم أشاهده مرة يقترب من بعيد .. كان دائماً يظهر فجأة .. و كذلك ذهابه .. لم أره أبداً من قبل و هو يبتعد عنّي حتى يختفي فقد كان يبتعد قليلاً و من ثم يتلاشى كأنه لم يكن .. أتذكر أيضاً أنني أمسكتُ يده مرة عن طريق المصادفة فجرتْ رعشة حادة في بدني لم أفهم مغزاها ،

في واقع الأمر شعرتُ كثيراً أنّ حديثه أكبر من عمره لأنّني صغير و أعلم كيف أفكّر أنا .. كنتُ أشعر عندما يحادثني فرانس أن عجوزاً حكيماً يكلّمني و ليس طفلاً و لكن على الأقل نلتُ صديقاً و هذا هو المهم . أوه ... أتذكر عندما أخبرتك أن عيد الكريسماس تبقّى له أسبوع واحد؟ .. ها أنا على مشارف هذا اليوم فغداً هو العيد .. كنت أتحدث مع صديقي فرانس صباحاً عندما قال

- يا صديقي العزيز .. ألم تملَّ من حياتك هذه ؟
- بلى .. الناس هنا لئيمون و سيّئون لأعلى الدرجات
- معك حق .. إني لأعجبُ منكم بني الإنس كيف تملكون ذلك القدر من الجشع و القسوة و إنّي دائماً ما عجبتُ منكم و طبعكم الذي ما فارقتموه منذ القِدم
- أنا لا أعرف طمعاً و لا جشعاً و لا قسوة .. فدائماً ما كنتُ المقسوّ عليه و المشرّد الذليل ساكن الطرقات

صمتَ قليلاً و هزَّ برأسه و التفتَ إليَّ و علتْ وجهه ابتسامة هادئة :

- ما رأيك أن تأتي للعيش معي .. فقد آن الأوان و حان الوقت .. نلتَ إذناً لذلك و إن أردتَ سنذهب غداً و نعيش سوياً في ذات المكان

قلتُ مستغرباً

- و لكن أين تعيش؟ .. ألن يغضب أهلك ؟
- لا عليك لا عليك .. غداً سترى بنفسك
- حسناً .. صِف مسكنك لي
- مسكني كبير بالفعل .. و فيه دفئٌ طالما ما أردتَه .. و لا تخف سنطعمك حتى تشبع بطنك و لك ما تريد فأنا موجود هناك

هززتُ رأسي مستغرباً و لكن فَرِحٌ في ذات الوقت .. أخيراً سأعيش الراحة و لو لوقت قصير .

حلَّ الليل و بدأت الثلوج تهطل مدراراً مدراراً دون انقطاع أو توقّف

كان الليل حالك الظلمة و القمر غائب عن السماء .. مرَّت ساعات هطلت فيها الثلوج مع بعض المطر لذا يمكنك أن تسمع في تلك الليلة صوت رعد يزمجر

كنتُ وحدي على رصيف أحد الطرقات متكوّر على نفسي أرتجف من شدة البرد .. أشعر بأطرافي بدأت تتجمد و جسدي يصطبغ بـلونٍ أحمر . لم أعد أستطيع الحراك و طبقة من الثلج راحت تغطّيني

الهطول يشتدّ و يتسارع و الزمهرير يتزايد .. أتنفس بصعوبة وسط ضربات قلبي الهائجة و أطرافي تؤلمني ألماً شديداً .. الأرض تحتي تؤذيني كأنها أشواك حادّة متجمّدة

رحتُ أسعل و أسعل سعالاً متقطّعاً و صدري يعلو و يهبط بصعوبة بالغة . لم أعد أحسّ بجسدي و لا سيما نصفي الملامس للرصيف

و بينما أُعذَّب هذا العذاب الأليم من غير ذنب أو جريمة بدأتْ عينيّ تُغلق أجفانها ليسود الظلام شيئاً فشيئاً ...

بعد ساعات .. كنت أسمع صوت همهمات كثيرة رجالاً و نساءً و أصوات خطوات تمرّ بجانبي .. لم أعد أشعر بالثلج يهطل و لا صوت الرعد يُسمع

فتحتُ عينيّ قليلاً لأرى حشداً من الناس متحلقين حولي .. منهم من يضع يده على فمه و منهم الكثير من يعبس محيّاه و يبدو الحزن على وجوههم

رأيتُ امرأة توجّه هاتفها نحوي و تصوّرني و أخرى تقول « فليحمينا الرب » لم أفهم المشكلة .. و لم أفهم سر نظراتهم البائسة نحوي و وجوههم العبوسة

و إذ بي أرى صديقي فرانس يقف بين الحضور و يتقدّم نحوي ببطء .. و ما أن أصبح فوقي مباشرة حتى مدَّ يده لي و قال ببسمة تعلو وجهه « هيّا يا صديقي لقد حان الرحيل » سادت لحظة صمت . و من ثم أمسكتُ بيده و ساعدني على النهوض _ أحسستُ بخفّة لم أعهدها في جسدي و لم أشعر بالبرد أبداً _ وقفتُ و أنا أنظر نحو جمع الناس و هم لا يزالون يناظرون المكان الذي كنتُ فيه و ما أن التفتُ خلفي لأفاجئ برؤيتي جسدي متكوّراً على الأرض .. متجمّد و مزرقّ و تعلوه طبقةٌ من الثلج ..

لقد كنتُ أرى نفسي ميّتاً ، و لحظتها فهمتُ الأمر .. لم يكن صديقي فرانس .. سوى ملك الموت قد جاء ليصطحبني معه .

تـمَّـت

خائنة

شكّاكٌ كثيراً ... هذا ما يُقال عنّي و على حدِّ زعم الناس أّني لا أثق بأحد مهما كان حبّي له ، حسناً أيها الغريب سأعرّفك بنفسي .. اسمي هو .... انتظر بعد التفكير لا داعي لذكر اسمي فهو لا يعنيني شيئاً ، و لن تكون له فائدة هنا سنتابع دون اسمي

بعد شهر سأكون في ربيعي الثالث و الأربعون و لأكون صريحاً هذا التقدم العمري يخيفني قليلاً فقد بدأتُ أشعر بسرعة بتعب في جسدي من نشاط صغير و عظامي التي لم تعد قويّة كسابق عهدها و مزاجي المتقلّب بحدّة دائمة و دقّتي في جميع الأمور البسيطة

نعم لقد بدأتُ أهرم و أكبر ، تزوجتُ آنا منذ 11 سنة و هي فتاة شقراء بقامة ممشوقة و جميلة و ذات أخلاق و ذكاء و ثقافة دائماً ما حلمتُ بها .. في الحقيقة كانت فاتنة و قد أحببتُها كثيراً و مع أنَّي سمعتُ كثيراً قبل زواجي أنَّ حبّي سيزول بعد الزواج و ترددتْ في مسمعي تلك الجملة المتداولة بشكل دائم في مجالس الكبار « الزواج مقبرة الحب »

إلا أن ما حدث معي أن حبّي لها قد تحوّل عشقاً و هوساً بعد الزواج و صرتُ مجنوناً بها و نتج عن عشقي هذا غيرة قاتلة تسري في عروق جسدي .. و أصبحتُ أتابع كلماتها حرفاً حرفاً

و إن قالت كلمة غير مفهومة بشكل كامل فإني قد أشكُّ بوفائها و تأتيني تلك الهواجس المخيفة و تدور في رأسي لساعات و أيام

على الرغم من كوني دائم الشك طوال فترة زواجنا إلا أنها في الفترة الأخيرة أصبحت مدعاةً للشك بشكل فظيع

فمرّة كنّا نجلس في غرفة الجلوس أمام التلفاز و إذ رأيتها تمسك هاتفها و تحادث أحداً لساعة كاملة**!!!**

من هذا الشخص الذي ستحادثه زوجتي لهذه المدة **؟؟** فيما بعد التقطتُ هاتفها حين ذهبتْ لتروي عطشها و فتشته بشكل سريع و لكنّي لم أجد شيئاً .. لم أجد دليلاً واضحاً . حسناً يبدو أني أتعامل مع خائنة محترفة لأنها تظنني غبياً لكيلا أفطن لتركها هاتفها هنا عن قصد بعذر شربها المياه

تريد أن توصل لي رسالة " أنا لا أخونك . فتّش هاتفي و سترى " و من ثم تكون قد أخفت المحادثة التي لا يفترض أن أراها .. ذكية و لكن خائنة

كنتُ أراها تتصفح الانترنت حتى الصباح و لم أستطع مرة واحدة أن أرى شاشة الهاتف .. لهذا قررتُ أن أنصب فخاً يمكّنني من رؤية الشاشة بعض اللحظات .

وضعتُ مكاني عدة وسائد و غطيّتها بلحاف السرير .. هذا ما تعلّمته من الأفلام لإيهامها بوجودي جانبها و من ثم اختبأتُ خلف خزانة صغيرة كانت بجانب السرير و تحديداً بجانب مكانها

خطتي الصغيرة مكتملة الآن كل ما عليّ فعله هو الانتظار ..

في الحقيقة أثناء انتظاري هناك لاحظتُ أشياء لم ألاحظها قبلاً و لم أعلم بوجودها حتى الآن

مثلاً تعرّفتُ على ذلك العنكبوت الذي كان يقيم تحت آخر السرير و ألقيتُ التحية على أبناءه و طمئنتُه أني لن آخذ الإيجار منهم . كان سيداً لطيفاً ، و غالب ظنّي أنه شارك في حرب العناكب و الصراصير قبل عدة سنوات و يبدو أنه فقدَ إحدى عيونه فيها

حسناً لأكون صريحاً معك لقد أعجبني ذلك المكان و لا سيّما أني وجدتُ محفظتي الضائعة منذ أسابيع .. لقد كانت أمانة عند السيد عنكبوت.. و بينما كنتُ أستكشف المكان و أتعرّف على الحشرات المقيمة ، دخل العصفور القفص فها هي زوجتي قد

انسدحتْ على السرير بعد أن ألقتْ نظرة على مكاني و ظنّتْ أنني نائم بجانبها .. أخرجتْ هاتفها و بدأتْ تصفّحها المعتاد..

انتظرتُ خمس دقائق و من ثم أخرجتُ رأسي قليلاً .. لقد رأيتُ الشاااشة .. و لكن ... كان يظهر فيها مجموعة من الهدايا الحمراء التي تُهدى للعشاق .. تخونني و تريد إهداءه هدية أيضاً !!!!!

وضعتُ يدي على فمي لمنع صرختي من الخروج .. لقد صُدمتُ حقاً ، و لكن لن أدع ذلك يمرّ بسلام سأعرف القصة كاملة و لن أهدأ حتى أنتقم

بعد أيام كنتُ أتسوق مع آنا .. كنّا نريد شراء ثياب جديدة لي لأن ثيابي قد بَهُتتْ و ترك الزمن عليها بصماته فدخلنا أحد المحلات و رحنا نطالع القمصان و السراويل حين قالت زوجتي " سأذهب للحمام " كان المكان كبير و كنّا في آخره و الحمامات قريبة من المخرج

ذهبتْ آنا و لكن الفضول و الشك استبدَّ بي لهذا لحقتها دون أن تراني و عندها !!

رأيتها تقف خارج باب المتجر و تحادث شاباً دون خجل و لا ستر .. كدتُ أن أجري لأحطم أنفه و أقتلع شعر آنا من جذوره

و لكنّي قلتُ في نفسي يجب أن أنتظر لحظة فاضحة لأمسكهما بالجرم المشهود

لهذا ضبطتُ أعصابي و عدتُ أدراجي و تظاهرتُ كأنّ شيئاً لم يحدث

و عندما عادتْ آنا قلتُ متعجباً : يبدو أنكِ أطلتِ مكوثك في الحمام .. قالتْ :

لقد التقيتُ بصديقتي لهذا تحمسّنا و دار بيننا حديث غير مهم .. رددتُ في نفسي (صديقتكِ إذاً) . أظن أن الأمور أصبحتْ واضحة هذه الحمقاء الكاذبة تخونني !! سأريها معنى الخيانة و سأعاقبها .. لن تنجو بفعلتها هذه

مرّت الأيام تِباعاً و أعصابي تكاد أن تنفجر .. كيف أنام بجانب خائنة كل يوم ؟ كيف أقبّلها ؟ كيف أحادثها و أتذوّق طعامها ؟ أنا لا أفهم كيف تستطيع خيانة حبّنا .. حين يملك الإنسان روحاً تحبّه لمَ يسعى لغيرها ؟ لقد أنعم عليك ربّك بحب شخص صادق .. هذا الحبّ الذي لا يحصل عليه الكثيرون.. فلماذا ترمي بحبك هذا إلى وديان الخيبة ؟ عش حياتك مع من تحب ليس مع من يحب الآخَرون

أحياناً يفترق العاشقان رغماً عنهما و لكن هذا لا يمنع زواجهما .. تذكر دائماً الأهم هو " الوفاء " .. صدقني أن تصبر و تدعي الرب على زواجك من حبيبك حتى و إن كان بعيداً خيرٌ من فقدان الأمل و الزواج بشخص عابر

بكل بساطة علاقتكم ستكون " عابرة " .. نزوة مؤقتة.. لا يوجد شخص في العالم سيعوّضك عن لحظة واحدة مع حبك الأول .. فليس من العدل أن يكون الزواج من شخص حبك له دام شهوراً مثل الزواج من شخص دام حبك له سنيناً .. بلغ عمر حبّي ما يزيد عن عشر سنوات فلا أريد أن يأتي شخص يُعجب بفاتنتي ليسرقها منّي .. و من ثم سيصبح كسائر الرجال عند الزواج .. هذا لأن زواجه منها كان نزوة عابرة.. حب مؤقت .. ليس كحبي و ليس كمعرفتي بها و ليس كمشاعري المرهفة تجاهها .. أنا الذي عشت حبها سنيناً و أنا الذي احتضنتها بين ذراعيّ حتى شببتُ .. أنا الذي شاركتها العسرة و اليسر .. و أنا الذي سهرتُ معها ليالي كثيرة .. أنا الذي أحببتُها أولاً و أنا الذي بكيتُ لأجلها .. أنا أوّل مَن عانقها و أوّل مَن قبّلها و أوّل من أحبها و أوّل من حَلُم بها .. أنا الذي هرعتُ إليها و لجأتُ لذراعيها منذ الصغر .. فمن أنتَ حتى

تنالها ؟ و من أنت حتى تحبّها ؟ ما الذي فعلته لتستحقها أكثر منّي ؟

أنا الذي أموت إن تطلّب الأمر و أنا الذي أفديها بكبدي و قلبي و رئتيّ و عيوني و جميع أعضاء جسدي .. أقتل لأجلها و أكلّف جسدي لخدمتها .. أتذوّق طعم العذاب و أتحمّل مصاعب الحياة ، أبتر أطرافي و أفقئ عينيّ و أسلخ جلدي و أطعن جسدي في كل جزء و بقعة .. أشرب زيتاً مغليّاً و آكل أشواكاً سامّة ، أفجّر نفسي أو أحرقها . لقد كلّفت نفسي رخيصة لحبّها .. هل تنافسني يا هذا ؟ هل تقدّم أكثر منّي ؟

في ذلك اليوم كنتُ خارج المنزل فاتصلتْ بي زوجتي و أخبرتني أنها ذاهبة لصديقتها.. كانت الساعة السادسة مساءً و كانت الشمس قد ودّعتْ السماء و جثى الليل و خيّم على المدينة ..

الشك لم يترك لي مجالاً للتفكير لهذا قُدت سيارتي للبيت و جلستُ هناك أنتظر خروج آنا .. لا أعلم ما الذي أفعله و لا ما سأقدم على فعله و لكنّي فقط أتبع شكّي

بعد دقائق خرجتْ زوجتي و كانت مرتديةً ملابساً أنيقة جداً .. كما لو أنها ذاهبة لموعد غرامي ، كانت ترتدي فستاناً أسوداً

يبدو أنها اشترته حديثاً .. و تحمل بيدها كيساً أحمراً فيه علبة و الغالب أنها هدية .. نعم نعم لقد فهمتُ الأمر و حان موعد لقاء العاشقيْن ..

أوقفتْ سيارة أجرة و صعدتْ بها و بدأتُ أُلاحقها ، كنتُ متوتراً و يديّ ترتجف .. الآن سأعرف الحقيقة و سأواجهها ..

عبرنا الكثير من الطرق و قطعنا نصف ساعة حتى وصلنا إلى مكان بعيد عن المدينة

بين الأشجار كان هناك مستودع توقفتْ أمامه سيارة الأجرة و خرجتْ منها خائنتي .. صرفتْ السيارة و تقدّمتْ نحو باب المستودع و طرقتْ الباب ففُتح لها و دخلتْ

كدتُ أن أخرج عندما خرج من الداخل شاب و ركب سيارة سوداء لم ألحظها و غادر .. يبدو أنه ذهب ليحضر شيئاً ، حسناً الآن تأكدتُ من جريمتها .. حينها اشتعلتُ غضباً و أخرجتُ مسدساً كنتُ أحتفظ به في صندوق سيارتي ، صفقتُ باب السيارة و توجّهتُ نحو الباب و خلعتُه .. لم أستطع ضبط نفسي أكثر و مباشرة حينما رأيتها أمامي بعينيها المفزوعة وسط الغرفة المليئة بالشموع و اللون الأحمر و المائدة المليئة بالأطعمة ضغطتُ الزناد لتطلق صرخة و تقع على الأرض ..

حينها فقط .. لاحظتُ على الحائط الذي أمامي مكتوب عليه بخط كبير اسمي !!

و عندما نظرتُ للمائدة رأيتُ قالب الحلوى و عليه مكتوب اسمي أيضاً !!

لم أفهم الأمر في البداية إلا حينما قالت بصوتها المتألم " اليوم عيد ميلادك " هرعتُ إليها و أمسكتُ برأسها و أنا أصرخ و أعتذر فقالت بينما تحاول التنفس بصعوبة " كنتُ أعدّ لمفاجأتك طوال الشهر "

بدأتُ أجهش بالبكاء و أصرخ و أنا أهزّها حين أغلقتْ عينيها و غادرت الحياة جسدها .. ما الذي اقترفته يداي ، ما الذي فعلته أنا ..

من بين أصابع يدي الممسكة برأسها تسرّبْت دماؤها الحمراء .. سكنَ جسدها و هدأتْ أنفاسها و أنا أضرب نفسي و أبكي فوق رأسها صائحاً " لا ترحلي " لقد تسرّعتُ كثيراً ، قتلتُ زوجتي التي أعشقها بسبب شكّي التافه .. ليتني لم أضغط الزناد .. ليتني جئتُ و احتضنتُها ، ليتني وثقتُ بها .. قتلها شكّي و قتلني ، و راحت دموعي النادمة تسيل على وجنتيها حين

ضممتُ رأسها إلى صدري وسط نواحي و صراخي ... لا تذهبي آنا .. أرجوكِ لا تذهبي .

تـمَّـت

زائرتي السماوية

أحبّ الطبيعة و أعشق رائحة الصباح البريّة .. كان والدي فلاحاً و عندما كبرتُ امتهنتُ مهنته و بدأتُ أعمل بها .. أنا توماس بعمر قد بلغ الثاني و العشرين .. أعيش وحدي في كوخي النائي عن البلدة و أعتني بأرضي الصفراء الجميلة .. كنت أحب حقول القمح لذا ها أنا لدي حقل خاص بي .. كما أحب اللون الأصفر الذي يكسبه القمح للحقل ..

لذا كنتُ أعتني به كثيراً .. لقد ورثتُ هذا الكوخ عن والدي الذي مات قبل سنتين بالإضافة إلى حقلي هذا .. لم يترك والدي شيئاً كبيراً و لكنه كان يرضيني .. لستُ متزوجاً و ليس لدي أبناء أو أشقّاء كي أرعاهم .. و هذا أجمل ما في الأمر أنّي بحاجة للاعتناء بنفسي فقط

كنت أحب وحدتي هذه و ليس لديّ أصدقاء أبداً .. كوخي هذا كان بعيداً كما ذكرتُ سابقاً عن البلدة و لا يوجد سكنٌ قريب من هنا إلا على بعد أميال مني . لذا أول كوخ يظهر على هذا البعد أعتبره جاري

كنتُ أتعب كثيراً عندما أقطع الطريق مشياً للبلدة لأبيع محصولي و أشتري حاجياتي .. فنادراً ما تمرّ العربات من منطقتي .. ما اضطرني لشراء حمار بعدما عملتُ عملاً إضافياً في البلدة .. كانت وحدتي مملّة ما جعل حياتي حياة روتينية

و في يوم من الأيام عندما تجاوزت الساعة منتصف الليل فتحتْ عينيّ و نظرتُ نحو النافذة التي كانت بجانب سريري .. تسرّب منها ضوء القمر الأزرق .. كانت ليلة مقمرة جميلة و السماء صافية و الجوّ دافئ صيفيّ

لم أشعر بالنعاس لسبب ما و رحتُ أتقلب في فراشي ضجراً ، يجب أن أنام جيّداً فكان عليّ الذهاب للبلدة بمجرد حلول الصباح ..

تسلّلَت نسمات صيفية من النافذة لكنها لسبب ما جعلتني أشعر برعشة في جسدي .. كل شيء طبيعي حتى الآن ..

لكن بدأتُ فجأة أشعر بالنسمات تزداد و تزداد معها قوّتها إلى أن تسارعتْ شيئاً فشيئاً و بدأتْ تتحول من نسمات إلى كمّيات من الهواء .. لقد أصبحتْ غير طبيعية و فجأة ازدادتْ حدّة الهواء الذي ضرب النافذة بقوة هائلة .. كُسِرت النوافذ و طار عنّي لحافي مع الأشياء التي راحت تتطاير للخلف ..

تشبثتُ بسريري و أنا أحاول مقاومة الهواء المستمر .. كنتُ أفتح عينيّ بصعوبة و لحظتها رأيتُ من النافذة شهاباً مشتعل النيران الذي بدا قريباً جداً حتى أنني أدركتُ أنه يتجه نحو

كوخي !! من الصدمة أفلتت يداي السرير و طرتُ مصطدماً بالحائط خلفي و أنا أحاول الحراك بصعوبة ..

لكن الأوان كان قد فات فالنيزك الذي ظننته شهاباً اقترب بشكل مخيف و من ثمّ لحسن حظّي ضرب بقوة هائلة حقل القمح ..

اندفع الهواء نحوي و ضربني حتى شعرتُ كأن جسدي بدأ يتمزق و السرير قد طار باتجاهي و سحقني بقسوة .. دخلتْ من النافذة بعض حبّات القمح و كميّات كبيرة من التربة .. كنتُ أتألم حتى بدأ تيار الهواء يتباطئ رويداً رويداً حتى انعدم .. سقطتُ أرضاً و رحتُ أتلوى و أتكور على معدتي التي كانت تؤلمني ..

بعد دقائق استطعت الوقوف و مشيتُ خارجاً من الكوخ .. كان هناك غبار كثيف منعني من رؤية شيء لذا تقدّمتُ أمشي في الحقل نحو مكان سقوط النيزك .. وسط الغبار الذي حاوطني كنت أرى طوال طريقي سنابل القبح الملتوية بعكس جهة السقوط .. و كان كثير منها قد طار من مكانه ، اقتربتُ كثيراً من موقع السقوط و الغبار أصبح أشدّ مع اقترابي ، حينها وجدته أمامي .. ذلك النيزك غريب الشكل

النيزك وسط حقل القمح

اقتربتُ منه حتى لحظتُ شيئاً غريباً .. بدا لي أنه ليس صخرياً .. لقد كان جسماً غريباً .. تلمّستُه بحذر بالغ .. كان ساخناً جداً حتى أحرق يدي

حينها فجأة خرج صوت غريب و تحرّك الجسم قليلاً ..

فُتح من المنتصف و خرج دخان كثيف .. لم أستوعب في بادئ الأمر و لكنّي اقتربتُ و أكملتُ فتح الغطاء .. لقد كانت مركبة على ما أظن أو شيء من هذا القبيل .. خرج منها دخان كثيف لم يدعني أرى شيئاً .. سرعان ما تلاشى و ظهر جسد شخص ما نائم في المركبة .. كانت المركبة أشبه بالكرة و لكنها صغيرة بحيث كانت بالكاد تكفي لشخص واحد

تناولتُ فانوساً من كوخي و قرّبته من الشخص حتى اتضحتْ معالمه . كان يبدو أشبه بفتاة و لكن كانت ملامحها غريبة قليلاً .. في الحقيقة كانت فائقة الجمال .. حُسنٌ خلقيّ لم أر مثله في حياتي بكاملها

أخرجتُ جسد الفتاة من المركبة و حملته إلى كوخي ثم إلى الفراش .. مدّدتُ الفتاة على ظهرها و رحتُ أتفحصها ، كانت جريحة على ما يبدو فقد كان كتفها ينزف و لكن دمها كان

غريب اللون بعض الشيء .. لقد كان لوناً قريباً من الأحمر مع بعض الازرقاق

كان طولها عادياً أيّ كمتوسط طول أي أنثى تعيش على الأرض .. لون بشرتها كان أبيضاً و شعرها كان بنفسجياً .. ترتدي ثياباً غريبة قليلاً فقد كانت كزيّ من قطعة واحدة من مادة قوية و سميكة

لون زيّها أبيض مع بقع صفراء على ركبتيها و كوعيْها .. لم تكن ترتدي حذاءً فزيّها يغطّي كامل بدنها ما عدا الرأس

ضمّدتُ جرح كتفها و جلستُ أتأمل هذا الجسد الذي هبط من السماء .. سمعتُ كثيراً في صغري عن الأطباق الطائرة و المخلوقات الفضائية و لكنّي لم أرَ من قبل إحداها على أرض الواقع مع كوني لا أؤمن بوجودها

* * *

مرّت ساعات و أنا أنتظر حصول أمر أجهله حتى طلع الصباح و أشرقت الشمس و ازرقّت السماء .. هنا شعرتُ بجسد ضيفتي بدأ يتحرك قليلاً .. و بعد محاولات عدّة فتحتْ عينيها ..

كانت عينيها بلون أحمر فاتح يُوقع المرء بحبها من أول نظرة .. نظرتْ حولها باستغراب ثم إليّ ..

قالت " نادارا كو ديماروامي كوا "

نظرتُ إليها بجمود أحمق و أنا لم أفهم شيئاً .. حينها رفعتْ يدها و ضغطتْ على موضع في ساعدها

و بعدها قالت " أين أنا و من أنت ؟ "

صدمتُ .. كيف تفهم لغتي ؟

قلت لها " أنتِ في الأرض في بيتي .. لقد هبطتِ ليلة البارحة هنا بشيء كروي الشكل "

هزّت برأسها متذكرة " حسناً .. أريد أن أخرج لأرى مركبتي"

أومأتُ برأسي و ساعدتها على النهوض و خرجنا.. قلت لها بنبرة متسائلة

" كيف تفهمين لغتي و من أنتِ و ما أنتِ أصلاً ؟!

" قالت : سأشرح لك كل شيء و لكن بعد قليل ..

وصلنا إلى مركبتها .. تفحّصَتها بحذر و قالت بعد برهة :

لقد تحطّمَت ، تحتاج للإصلاح ..

نظرتُ إليها و أنا لا أفهم شيئاً مما تقول ، نظرتْ نحوي و قالت :

حسناً حسناً أعلم أنك مستغرب و لا تفهم شيئاً سأشرح لك بالتفصيل .. و من ثم جلسَت على الأرض و جلستُ بجانبها

- ربما سمعتَ كثيراً عن المخلوقات الفضائية و هي بالنسبة لك خيال علمي لا حقيقة و لكن في الواقع هناك كواكب كثيرة تكرر نفس كلامكم " لا وجود للفضائيين " و هم لا يدرون أنهم هم أنفسهم يُعَدّون فضائيين بالنسبة للمخلوقات الأخرى التي تعيش على كواكب مختلفة .. حسناً .. أنا من كوكب يبعد عن مجرة درب التبانة بخمس و ستين مجرة .. مجرتي تسمّى بـ"ساستا نافيلس " و اسم كوكبي (أورانكو) ..

وقفتُ متعجباً و مذهولاً و قلتُ :

- حدّثيني عن كوكبكم أكثر و عنكم أيضاً و كل ما يتعلق بكم

قالت مع ابتسامة و إيماءة برأسها :

- حسناً حسناً .. كوكبنا

غنيّ بغاز شبيه بغازكم الأرضي لكن الفرق أنكم من الصعب أن تتنفسوه

صحيح أنه يشبه الأوكسجين و لكنه يُعتبر أثقل على جهازكم التنفسي بأضعاف لذا قد يستطيع الواحد منكم العيش هناك على هذا الغاز لمدة ثلاثة أيام كحد أقصى

كوكبنا مليء بأشجار و غابات زرقاء اللون .. و نحن عبارة عن مخلوقات تشبهكم تعيش هناك و لكن بفروقات بسيطة

مثلاً نحن لدينا المرأة لا تحمل حتى تأتي بطفل بل نأتي بقطرة دم و حمض نووي من الأم و قطرة من الأب و نضعها في آلة مخصصة .. تقوم هذه الآلة بحفظ هذه القطرات و تبدأ بتكوين الجنين داخل أنبوب كبير الحجم بعض الشيء يملؤه سائل أخضر اللون .. و بعد عدة شهور يصبح الطفل جاهزاً ...

كما أننا لا ندرس بل تُوضع فينا منذ الصغر خليّة الكترونية تجري في دمنا و تمنحنا قدراً هائلاً من العلم لهذا أنا الآن أعرف كثيراً عن كوكبكم الأرض و عن بني جنسكم البشر

لقد عاش شعبنا منذ أربعة مليون سنة على هذا الكوكب و منذ نشأتنا كانت هناك كائنات أخرى تدعى (السورسي) تعيش معنا .. كانت تشبهنا جسدياً و لكن شعرها يغطيها بشكل مبالغ فيه ..

و كانوا أقوياء البنيّة و ضخام الجسد و لكن ذكاءهم منخفض بدرجة كبيرة أي لحدّ أنهم قد صُنفوا بلا عقل أو وعي .. هم مثل الحيوانات فكراً لذا عقد أجدادنا معهم منذ قديم الزمان عهد سلام و كان الشرط الوحيد هو تقسيم الكوكب إلى نصفين .. نصف للسورسي و نصف لنا و ممنوع منعاً باتاً دخول أي كائن منّا إلى أرضهم و العكس صحيح ..

و قد حافظنا على هذا الوضع لقرون طويلة.. حضارتنا نحن قد ازدهرت و بدأنا نزور مجرّات أخرى جرّاء علمنا ..

أما شعب السورسي فكانت حضارتهم ليست بحضارة .. كانت قرى بدائية تحيط بهم الغابات من كل الجهات .. كانوا يعيشون بلا عمل أو جهد .. يأكلون و ينامون و لا شيء آخر

و من ثم حدث ذلك الأمر ! واحد منّا و هو عالم مهتم بالأماكن المحظورة تسلّل و دخل منطقة السورسي و بعد أن قطع أشواطاً طويلة اكتشف شيئاً ما كان ينبغي معرفته !!

لقد رأى بوابة ضخمة لكهف يمتد لأعماق الأرض

و عندما دخلها و راح يجول فيها وجد أمامه مدينة عملاقة فائقة التطور أسفل الأرض !!

لاحظَ شيئاً ضخماً بشكل مذهل يتوسط المدينة .. هذا الشيء كان سلاحاً جبّاراً يستطيع تدمير كوكباً كاملاً و لكنه يحتاج طاقة هائلة .. طاقة نجم كامل

رأى مركبات حربية مستحيلة التصور و جيشاً ضخماً و مرعباً من مخلوقات السورسي الذين كانوا يرتدون بدلات مسلّحة مضادة للاختراق ..

و هنا فهمنا أنهم كانوا في الحقيقة أشد ذكاء منّا بأضعاف مضاعفة و كانوا يتظاهرون بالغباء على مدار ملايين السنين بينما يعدّون حضارة جبارة لا تقهر ..

و بالفعل هذا ما حدث فما أن أخبرَنا العالم بالأمر حتى حصلت حالة استنفار ضخمة في نصفنا .. و جُهّز جيشنا بكامل معدّاته و أسلحته و استعان حكّامنا بالكواكب المجاورة

و ما هي إلا ثلاثة أيام حتى خرج جيش السورسي الذي كان عددهم يُرعبنا و يُرعب الكواكب الأخرى أيضاً ..

لا أدري كيف استطاعوا زيادة أعدادهم بهذا الشكل .. ثم أين كان كل هذا العدد ؟؟

لكي تتخيل ضخامة عددهم عليك أن تعلم أنهم كانوا يخرجون من بوابة الكهف باستمرار !!!

الكوكب لم يعد يسعنا .. خرجتْ مركباتهم و أسلحتهم المدمّرة .. بالفعل لقد أبادونا و أبادوا جميع الكواكب التي حاولَت مساعدتنا ..

يستمرّ جيشهم بالخروج من الكهف كأن عددهم لا نهائي لدرجة أنهم بعد أن استولوا على الكواكب الأخرى ملؤها منهم ..

أنا الوحيدة على ما أظن التي استطاعت النجاة عندما خطر لي أن أنزل لقبو أبي السرّي .. و هناك اكتشفت مركبة أستطيع بها

الهرب .. جلستُ فيها و أغلقتُ على نفسي و ضغطتُ زراً كبيراً علمتُ من شكله أنه زر الانطلاق و عندها انطلقَت مركبتي بسرعة تفوق سرعة الضوء باتجاه المجهول ..

لم يكن لي مكان محدد أذهب إليه لذا بعد ثلاثة أيام قامت المركبة بنظامها التلقائي بإعطائي قناع تنفّس يمدّني بغذاء بخاري (نوع من الغذاء لم يتعرّف عليه بني البشر) و ما أن وضعتُ القناع حتى امتلأت المركبة بسائل أخضر اللون و أفرز القناع بخاراً منوماً .. كانت تلك العملية للحفاظ على جسدي حيّاً .. فكان يجب أن أبقى فاقدة للوعي حتى تحطّ مركبتي على كوكب صالح للحياة ..

و بعد ست شهور وجد النظام الآلي كوكب الأرض و هبط هنا في حقلك أنت .. و باقي القصة تعرفها

كانت تعلو ملامحي صدمة و ذهول .. لقد كنت أنظر إليها ببلاهة كالغبي

قالت بعد أن رأت ملامحي :

- ما بالك .. لماذا تنظر إلي هكذا
- أوه آسف ليس من حقي أن أتعجب .. فهذه أول مرة أرى فضائياً قد سقط في حقلي

تبسَّمَت و ردَّت :

- هيّا أليس لديك شيء تطعمني إيّاه
- لا تقلقي سأجلب لكِ بعض الخبز .. و لكن بعد أن تحدّثيني عن بدلتكِ هذه

صرخَت : أنا جائعة !! قم اجلب لي شيئاً أنا في ضيافتك

قلتُ و أنا أُرجِع رأسي للخلف ممازحاً :

- يبدو أن الفضائيين يغضبون أيضاً
- طعاااااام

نهضتُ و أنا أردد :

- حاضر حاضر

و بعد أن أكلَت قالت : ما رأيك أن نلعب لعبة !!

قلتُ مستغرباً : لعبة ؟

ردّت بنبرة طفولية : نعم نعم .. لدي لعبة ممتعة جداً

أومأتُ برأسي مشيراً أن تتابع كلامها :

- قواعد لعبتي بسيطة .. و هي أني سأرمي لك كرة و أنت تجلبها بفمك .. ما رأيك ؟

قلتُ مصدوماً : أترين أمامك كلباً يا هذه !!

- اممم نعم تقريباً

نظرتُ لها و أنا لا أفهم شيئاً و تابعَت تقول :

- و لكن ينقصك بعض الأشياء

و من ثم نهضَت و ضغطت على ذراعها فخرج من البدلة أنبوب صغير .. أو هو مدفع على ما أظن بحجم مصّاصة الشراب ..

قالت : كنت تريد أن أحدّثك عن بدلتي .. حسناً ها أنا أريك بعض الخصائص المذهلة فيها

و من ثم وجّهَت المدفع الصغير المحمول على يدها نحوي و خرج منه شيء لم أستطع رأيته .. حدث انفجار بخاري صغير حولي و كل ما أراه دخان يحيطني

بعد لحظات نظرتُ إليها و أنا أسعل .. رأيتها تركض بعيداً .. فلحقتُ بها قائلاً (إذن ستلعبين معي لعبة المطاردة) ..

لقد كنتُ من فرط الحماسة أسرع من العادة و هي كانت لا بأس بها كذلك ، وصلنا إلى الطريق الترابي و هناك توقفَت لأنها

تصادفَت بعجوز يجرّعربة صغيرة خلفه .. نظر إليها قليلاً و قال : يبدو أنك لست من هنا يا صغيرتي ، فلم ألمحك من قبل

قالت و هي تلتقط أنفاسها :

- نعم يا جدي .. أنا هنا في زيارة

أومأَ العجوز برأسه و نظر نحوي و ابتسم لي : كلبكِ جميلٌ يا آنسة

ردّت و هي تضع يدها على رأسي و تداعب شعري : نعم نعم إنه لطيف

مشى العجوز و أكمل طريقه وسط جمودي .. أشحتُ بوجهي إليها و قلتُ : كيف يُهيننني هكذا !! هذا جاري البعيد منذ سنوات !!

أجابت : في الحقيقة أنا لا أفهم شيئاً .. و لكن يبدو أنك إلى الآن لم تستوعب الأمر .

و أخرجَت مرآة وضعَتها أمامي و عندها !!

رأيتُ كلباً بنيّ الشعر صغير الحجم يقف أمامها !

ما .. ماذا يحصل ما هذا !

بدأتُ أصرخ و أسألها عمّا فعلَت بي فردّت ضاحكة : كفاكَ نباحاً .. حسناً أنا لا أفهم منك كلمة واحدة فكل ما يخرج منك الآن هو نباح .. ألم تشعر يا أحمق أنّي عندما أطلقتُ عليك ذلك الغاز قمتُ بتحويلك لكلب لكي نلعب قليلاً !؟

رأتْ ملامح وجهي المرتعبة : انتظر لا تقلق .. هذه واحدة من مميزات بدلتي أستطيع إرجاعك بشرياً متى أردت

و من ثم راحتْ تداعبني .. بعد ساعات بدأتُ أشعر كأني كلب حقاً ، لقد اعتدتُ على هذا الجسد

- دوبي .. هيا إلى الطعام

دوبي ؟ مَن دوبي ؟

نظرتْ نحوي و قد فهمتْ :

- لم تعرّفني باسمك لذا أسميتك دوبي .. دوبي اسم كلبي السابق

كدتُ أنفجر حنقاً .. لم أصبح كلباً جسدياً فقط . بل أصبح اسمي اسم كلب أيضاً

ذهبتُ إليها لأتناول الطعام و صعدتُ على كرسيي أمام الطاولة .. حينها شعرتُ أنّي أصغر حجماً من أن أتناول طعامي هنا ..

فقامَت من مكانها و جلبَت وعاءً وضعَت فيه طعامي و قدّمته لي على الأرض

- لن تستطيع الأكل بغير هذه الطريقة

و من ثم جلسَت تأكل .. و بعد انتهائها قالت حسناً لقد أشفقتُ عليك قليلاً يا دوبي .. سأهديك هدية جميلة

و أخرجَت شيئاً يُشبه الساعة طوّقَت به رقبتي .. حينها قالت : كيف تشعر الآن ؟

على ما أظن كانت تنتظر إجابة مني فقلتُ : و تسألينني كأنك ستفهمين حرفاً

- نعم معك حق و لكني أفهمك الآن

نظرتُ إليها بوجهٍ كلبيّ مصدوم و رددتُ : إذن هذا الطوق يترجم كلامي ؟

قالت بابتسامة ساخرة :

- تقصد يترجم نباحك
- نعم نعم مهما يكن
- حسناً نعم ذلك صحيح
- و الآن .. متى ستنتهي لعبتكِ هذه ؟

قالت متمايلة بطفولية : اممم لا أدري .. ربما آخذك معي إلى كوكب آخر بهذه الهيئة

- انتظري انتظري .. سنتجنب الحديث عن مسألة أخذي معك
- بهذا الشكل .. الآن .. قلتِ أنكِ سترحلين ؟

- نعم هذا ما قلته
- و لكن كيف ؟ .. مركبتك محطّمة
- سأعمل على إصلاحها .. عليّ جلب بعض القطع الصغيرة و صندوق معدّات
- لدي صندوق معدّات في خزانة المطبخ السفلى
- إذن سأستفيد منه

و من ثم تقدّمَت نحوي و وضعَت كفّها على رأسي و قالت : شكراً لك

تبّسَمتُ لها و قلت : لا شكـ ..

فأكملَت تقول : يا دوبي

راحَت تجري ضاحكة بينما ألحق بها و أنا ألوّح بديلي غاضباً

* * *

نهضتُ من مرقدي و إذ وجدتني قد عدتُ لجسدي البشري .. أدرتُ نظري في الغرفة لأجد نفسي نائماً على الأرض أما مخلوقتنا فكانت منسدحةً على سرير تغطّ في ثبات عميق ..

قمتُ و جلستُ بقربها متأمّلاً وجهها .. كانت حقاً جميلة بشكل غريب ، ملامحها ليست بشرية لكنها .. تشدّني إليها

قرّبتُ يدي منها و أزحتُ بتردد خصلة من خصل شعرها التي كانت تنسدل على وجهها .. إنها كالملاك . أو دعني أقول هي ملاك ، كانت أنفاسها تصطدم بوجهي .. رائحة نفسها كرائحة الورد

يا إلهي أهناك أجمل من هذه الهدية .. هدية سقطَت من السماء إليّ .. حينها فتحَت عينيها فقمتُ فزعاً و خجلاً من هذا الموقف

تخيّل أن تنام عند غريب و تستيقظ لترى وجهه يكاد يلتصق بوجهك ينظر إليك ..

قالت و النعاس يتأرجح على حبال صوتها :

- ماذا هناك يا دوبي
- لا .. لا شيء

و لأغيّر الموضوع أردفتُ قائلاً : لقد استيقظتُ و وجدتُ نفسي بشرياً

رفعَت ظهرها و جلسَت و عينيها تكاد لا تُفتح : نعم لقد أرجعتك البارحة ليلاً .

كنتُ متوتراً جداً و قلتُ : نـ .. نعم حسناً

هممتُ بالذهاب لكنها أمسكَت بيدي و جذبتني إليها و لثمتني على شفتيّ .. كاد وجهي أن ينفجر .. أصبح كالطماطم .. صدمتني بفعلها لم أتوقع أن يكون الأمر بهذه السرعة

قالت بعد أن أبعدَت ثغرها : شعوري مثل شعورك .. مع أنني لست من كوكبك و لكن لا قانون يحرّم حبّاً بين بشري و فضائية .. أليس كذلك ؟

- هل .. هل تقصدين أنك تحبينني ؟
- نعم أيها المغفل .. ألم تلاحظ هذا حتى الآن

أومأتُ برأسي و بدأتُ أبتعد فأمسكت بي مرة أخرى و قالت :

- تعال إليّ أنا لم أنتهي بعد

* * *

في اليوم التالي .. مشيتُ بجسمي الصغير عبر الحقل حتى وصلتُ إلى مركبتها _ نعم يا عزيزي لقد استيقظتُ لأجد نفسي كلباً مرة أخرى _ كانت تعمل على إصلاحها و عندما انتبهَت إليّ قالت : هل استيقظتَ يا دوبي

- اسمييي هو تووووماااااس
- حسناً بالمناسبة يا دوبي .. لم أعرّفك باسمي .. اسمي هو نازكا

أشحتُ بوجهي و تفحّصتُ المركبة و قلتُ : هل يسير كل شيء على ما يرام

- نعم لا بأس حتى الآن .. لكن هناك شيء سيء للغاية
- و ما هو ؟
- أحتاج لقطعة قيّمة و كبيرة بعض الشيء لا توجد إلا في الآلات الضخمة

فكّرتُ قليلاً و من ثم أجبتُ بإيماءة : على ما أظن يوجد مصنع كبير قريب من هنا .. و لكني لا أضمن وجود القطعة التي تريدينها في الآلات

- لا بأس أن نحاول .. ليس عندي سوى هذا الخيار

حلَّ المساء و كنت معها في المطبخ فقلتُ لنازكا : أرجعيني بشرياً لقد اكتفيتُ من هذا الجسد

نظرَت إلي و من ثم قالت : لماذا ؟

فصمتُ ، أشاحت بوجهها لتتحول ملامحها و تقول : ما هذا ؟ بقعة ماء بزاوية الغرفة ؟ أدارت وجهها إليّ و عندما نظرَت لوجهي احمرَّ و أنزلتُه خجلاً و من ثم راحت تضحك ضحكة طويلة

- حسناً حسناً أيها التعيس سأرجعك بشرياً

و قامت بإرجاعي لطبيعتي .. نهضتُ إليها : ألن تنتهي من ألاعيبك هذه .. إلى متى سأستيقظ لأجد نفسي كلباً ؟؟

نظرَت نظرة جدّية إليّ .. و من ثم راحت تضحك و تركض متجهة لحقل القمح _ لعبة المطاردة بدأت مرة أخرى _ رحتُ أجري و راءها وسط حشد سنابل القمح الطويلة ، كان الجو صيفياً رائعة تلك الليلة .. بعد ثوان كدتُ أن أصل إليها فمددتُ يدي و سحبتها نحوي .. فقدت توازنها مصطدمةً بي و وقعنا أرضاً ، وقعَت نازكا فوقي مباشرة .. نظرَت إلي و سادَت لحظات صمت .. كانت نسمات الهواء تعبث بشعرها و تتطاير

خصلاته هنا و هناك .. كنت أذوب أرضاً ... عندها نطقتُ أخيراً : أغرقيني

تلقَت الطلب فور وصول كلمتي مسمعيها و هبطَت شفاهها على شفاهي .. كان الثغران يشتعلان جنوناً و عشقاً ، بدأتُ أحسُّ بشفتي تتمزق و سنابل القمح شاهدة على التهامي من قبل فضائية هبطت من السماء.. جاءت من كوكب آخر يبعد عني ما يزيد عن ستين مجرّة لتلتهم ثغري التهاماً .. الشيء الذي ما كانت لتفعله إنسية لو كانت مكانها

* * *

عندما توغل الوقت الدجى و جنّ الليل و تربّع البدر سحاب السماء الأسود .. خرجتُ مع نازكا متجهين عبر الطريق الترابي إلى المصنع

كان مصنعاً ضخماً و مرتفعاً .. هذا من أكبر المصانع التي رأيتها في حياتي .. لدرجة أنك إن وقفتَ على سطحه ستشعر بنفسك على ناطحة سحاب .. هذا ليس بناء مهترئ و قديم مثل باقي المصانع .. فهذا البناء حديث و متطور و هو الأول من نوعه .. و لكن مشكلتنا الوحيدة هي أن عليه حراسة مشددة

بشكل مبالغ .. و كأنه قصر سلطان أو ملك و ليس مصنعاً .. أخرجَت نازكا شيئاً يشبه المسدس و أعطتني إياه

- هؤلاء الحراس سيقتلوننا دون أن ترمش أعينهم لذا علينا ألا نتردد في قتلهم

قلتُ مذعوراً : نقتلهم !!! و لكن .. أنا لا أستـ

قاطعتني بحدة : عليّ أن أبحث عن كوكب .. لا أريد الموت هنا و يجب أن أخرج بسرعة من كوكبكم قبل أن يكتشف البشر وجودي و يأخذوني للتجارب .. هل تقبل إيذائي بسبب جبنك ؟

- توقفي .. سأساعدك لن أدع أحداً يؤذيكِ مهما حصل .. لكن لا تتركيني هنا
- لا أتركك هنا ؟
- أريد الذهاب معك .. ليس لدي ما أخسره هنا .. لقد وقعتُ في غرامك يا نازكا

أخفَت بسمتها و قالت : سآخذك معي يا عاشقي

انطلقنا باتجاه حارسيّ البوابة المسلحين و أطلقنا عليهم النار .. كانت الأسلحة التي نحملها لا تصدر صوتاً عالياً .. يخرج منها

شيء مثل الرصاص بلون أزرق .. قتلتُ أول حارسين و من ثم فتحنا البوابة و تسللنا إلى الداخل .. صعدنا درجات طويلة و واجهنا حراساً كثر .. و من ثم وصلنا إلى أضخم آلة في المصنع ، كانت عملاقة بمعنى الكلمة .. تفحّصَتها نازكا عن قرب و قالت : توماس .. تعال هنا ، ساعدني بنزع هذا الغطاء

أمسكتُ به من جهة و أمسكت نازكا به من الجهة المعاكسة و نزعناه بصعوبة كبيرة .. ما ساعدَنا في نزعه هو أدوات متطورة موجودة في بدلة نازكا ، ظهرَت تحت الغطاء قطعة متوسطة الحجم .. لكن يبدو عليها الثقل ، حملناها و من ثم قادتني نازكا عبر الممرات .. وصلنا لدرجات تقود للسطح .. قلت لها : هل سنصعد إلى السطح ؟

- نعم لدينا مهمة أخيرة

صعدنا بصعوبة و فتحنا الباب و خرجنا .. حينها لحقَ بنا أحد الحراس و هجم على نازكا .. فأمسكتُه من وراء ظهره و أبعدته عنها و ما هي إلا لحظات حتى وجدتُ سكيناً في خاصرتي .. لقد طعنني ، أمسكَت به نازكا و قتلته

- هل أنتَ بخير ؟

- الجرح ليس عميقاً .. جرح سطحي في الخاصرة .. هيا علينا أن نكمل

رأيتُ على السطح شيئاً دائرياً .. إنه عبارة عن آلة و لكنها على شكل دائرة على الأرض منتصفها فارغ

تقدّمَت نازكا و وضعَت القطعة التي جلبناها معنا في موضع معيّن في هذه الآلة و من ثم .. خرج ضوء أخضر ساطع من الدائرة الآلية .. ضوء لشدة قوته نهضَت حبّات الغبار تتطاير و نشأتْ عاصفة هوائية في المكان

كان الضوء عريضاً و قوياً يخترق عنان السماء .. لم أفهم شيئاً ..و قد وقعتُ أرضاً من قوة الهواء الذي خرجَ عند انطلاق الضوء

استدارَت نازكا و نظرت إليّ .. كانت هذه المرّة الأولى التي أرى نظرة مرعبة تعلو وجهها

قالت و هي تبتسم بخباثة : ألم تفهم بعد أيها الأحمق ؟ ألم تشعر بخداعي لك طوال الوقت ... حسناً يا صغيري سأعرّفك على نفسي ، أنا نازكا عظيمة السورسي .. أنا سيّدتهم و ملكتهم

أنا التي استطعتُ منذ القديم إعطاء الوعي و الذكاء للسورسي

كانوا مجرد كائنات غبية بلهاء ، هم الآن عبيدي و شعبي و كانت خطتي منذ البداية السيطرة على مجرة درب التبانة لكن عائقي الوحيد كان كوكبكم الأرض ، ففيه موجات غريبة أو طاقة نادرة تصدر منه باستمرار تعطّل أسلحة شعبي و مركباته فاكتشفنا لاحقاً أن هناك موضع على الأرض إذا استطعنا الوصول إليه و إطلاق الشعاع المضاد لهذه الموجات استطاع شعبي الوصول إليكم ..

و هذا الموضع نقف عليه الآن .. فوقه بُني هذا المصنع ، فكان عليّ أن أستخدم مركبة قديمة تستطيع مقاومة موجات كوكبكم للوصول لمقصدي .. و بكل بساطة كنتَ طوال الوقت مغفّلاً لم تشعر أنّي كنت أعمل على تجهيز الشعاع .. بمجرد رؤية شعبي لهذا الضوء سيأتون لاحتلال الأرض و ستنتهي حضارتكم المتخلّفة أيها الأغبياء

صرختُ بأعلى صوتي : ألم تحبيني قط يا نازكا ؟

ضحكَت تقول : و مَن أنت حتى أحبك .. كنتُ أتسلى بك طوال الوقت .. لستَ إلا أداة استخدمتُها و الآن حان وقت التخلّص منها

رفعتُ رأسي نحو السماء و رأيتُ حينها مركبات عملاقة حمراء اللون تطير فوق الأرض .

تـمَّـت

المصنع و الشعاع الأخضر الذي يخرج منه مخترقاً السماء وسط المركبات الحمراء التي تتساقط غازية الأرض

تحت أغصان الزيتون

مشيتُ قليلاً على الطريق الترابي المُمهّد و على جانبي تتناثر براري ممتدة على مرأى العين بأشجارها .. كانت غالبيّتها من أشجار الزيتون فمنطقتنا أفضل مكانٍ لزراعة أشجار الزيتون و إنتاج زيتها

وصلتُ إلى المنزل الحجري المتهالك . عندما تراه تظن أنّه بُنيَ في زمن نابليون ، جلستُ على السور الحجري الذي يُحيط المنزل .. كان مجموعة من الأحجار المصفوفة فوق بعضها البعض و أخذتُ أنظر في نفسي و سألتها :

لمَ أتيتُ إلى هنا .. ما الذي جاء بي ؟ لقد جاء أهلي مع بعض أقربائي في نزهة نهاية الأسبوع التي لا أعلم من أين جاءت .. مَن أول مَن قال أنه من الواجب على الطبيعة الإنسانية الذهاب في نزهة يوم الجمعة ؟؟ على أيّ حال أنا كائن منزليّ لا أحب فراق بيتي بل أعشق جدرانه الرطبة الباردة الصمّاء و أعشق تلك الغرف المتسلسلة وراء بعضها بعضاً و أنّى لي وصف ذلك السرير المتربّع بين سريريّ أخويّ ذلك السرير بلحافه الدافئ و فِراشه الحنون .. و ماذا عن تلك الوسادة الباردة التي تحتضن رأسي بين جنبيها كل يوم . قل لي ما المتعة خارج المنزل ؟ لدينا كل ما نحتاجه فيه ، لدينا الهواء و الطعام و الماء و الحمّام و الكتب فما حاجتنا للخارج ؟ ربما تحبُّ مقابلة الناس

و لكن ما الذي يجعلني أفارق سريري لأتصبّح بوجوه مقززة منافقة تسري في شراييـنها النزوات الحيوانية !! دعني بمفردي بين هذه الجدران و قريباً عندما أتزوج تلك الهائمة سأحتجزها معي في سريري و أمنع الذهاب خارج باب البيت .. حتى أنا لن أخرج و لا أريد رؤية أحدٍ إن كان في منزلي أم خارجه بل يجب أن تبقى معي حتى تضجر و إن ضجرت سأمزّقها .. فليس في الحب ضجر أليس كذلك ؟ أنتِ مَن اخترتني فعليك التحمّل

قاطع شرودي صوت طفل بدأ يمارس هوايته (البكاء) كان قد لطمه طفل أو سقط أرضاً .. لا أدري فلا يهمني بأيّ حال ، فلديّ هموم أضخم من جُرح أو صراخ طفل

بحثتُ بناظري عن ليلى .. كانت ليلى الأنثى الوحيدة التي أسرتْ لبّي و أخذتْه و لم أستطع استرجاعه .. ليس لأني حاولتُ ذلك بل لأني لا أريد استرجاعه أصلاً . دعوها تفعل به ما تشاء فأنا قد خُلِقتُ لتأسُرَني بسحرها

رأيتها تُلاعب طفلاً و ما أجمل حركة جسمها و صوتها الطفولي فقد تمنيّتُ على الدوام في سِرّي أن تتحرك أمامي ذات الحركات تلك و أن تصيح بصوتها كما تصيح عند ملاعبة طفل .. و لكن كتمتُ ذلك في نفسي خشية الحرج و الخجل .. فهو

طلب غريب و لكنها كانت تبدو لطيفة في نظري و تمنيتُ لو فعلَتها أمامي لَقبّلتها مباشرة .. و فجأة بينما أناظرها راحت تعطيه قبلة من فمه !!!! و هنا أشحتُ بوجهي بعيداً عن هذا المنظر المقرف و قمتُ من مكاني و غادرته منزعجاً

أنا لا أفهم كيف لها أن تقبّل أحداً غيري مهما كان عمره من فمه ؟ لو سألتُها الآن و قلت لها أتقبلين أن أقبّل فتاة صغيرة من فمها لاستاءت جداً .. فكيف تقبلها على نفسها و ترفضها عليّ ؟!

دائماً ما تضايقتُ و تذمرتُ من فعلها هذا و لكن لم تصغِ إليّ و لا حتى مرة واحدة . أظنني سأفعل ما أريد من هذه اللحظة و أقوم بمثل حركاتها هذه فبما أنها راضية من الطبيعي أن ترضى لي فعلها على أي فتاة صغيرة أليس كذلك ؟؟

مشيتُ قليلاً حتى نهاية السور الحجري و التفتُ خلفي لأرى ليلى قد اختفتْ فقلتُ غالب الظن قد دخلتْ المنزل ، فرُحتُ أمشي حتى دخلته و بحثت عنها و إذ هناك صوتُ ضجة في الخارج ، خرجتُ لأرى الأمر و إذ رأيتُها قد شغّلت أغنية عبر مضخّم الصوت و جلست بجانبه .. و لكن ... كان ذلك المغّني

لا أطيقه . ليس بسبب أغنياته الحمقاء التي لا أسمع فيها سوى الكلمات التافهة الغير مترابطة أو حتى صوته القبيح المغفّل ، بل أيضاً لأن ذاك المغني لا تعجبني شخصيته و لا يعجبني مَن يستمع إليه ، فهو و مَن يستمع أغنياته من النوع الذي يدخّن ليرى نفسه رجلاً .. ينفخ صدره ليرى الناس رجولته .. يقود دراجة نارية أو سيارة بسرعة عالية _ طبعاً مع تلك السيجارة التي على طرف ثغره _ ليرى نفسه رجلاً .. يسهر كثيراً خارج البيت و يقضي وقته بتفاهات الزمن هذا .. و أنا أرى أن ليلى ترى أن الرجل هو ذاك _ ذاك النوع _ لأنني كثيراً ما سمعتها قبلاً و هي تمدح شخصاً يحوي جميع الصفات السابقة و تفتخر به .. لهذا يخيب ظنّي بها عندما أسمعها تضع أغنية ذاك المغني لأني أعلم أنها قد تكون تفضّله أو حتى تحبه ، و أرى أيضاً أن الفتيات اللواتي يستمعن إليه غير محترمات و لا يمكن الوثوق بهن البتة . حسناً حسناً بما أنها لا تسمع لي كلمة فليس عليّ البوح بكامل مشاعري و أفكاري فلم أجد أحداً أستطيع تفريغ تلك الشحنة السلبية عنده إلا كتبي . لنعد لموضوعنا : قرّرتُ تجاهلها و رحتُ أنفر منها تلقائياً عندما أراها لأنني لم أستطع تحمّل فكرة كذبها عليّ و كسر وعدها التي وعدته بعدم استماعها لذلك الأحمق .. و لكن ماذا نقول ؟ لا يمكنك أن تثق بوعد قطعته امرأة و لو كان قسماً مقدَّساً

رحت كلما تقترب مني أبتعد و أحمل كتابي بيدي فهو خير صديق لا يخون في هذه الأوقات . و هكذا حتى جاءتني عند حلول نهاية العصر عند السور الحجري فقمت كما فعلت سابقاً و رحت أبتعد حتى قرّرتُ الجلوس على إحدى الصخور

فإذا بي ألمح حصوة قد رُمِيت بجانبي علمت حينها بكونها لا تزال ورائي . التفتُ إليها و من ثم مشيتُ نزولاً تاركاً إياها خلفي و عندما كنت قد وصلت منعطف الطريق نظرتُ حيث كنتُ و رأيتها متصلبة و على وجهها نظرة حزن بريئة و هنا .. كدتُ أن أتوقف و أستدير عائداً إليها و لكنني قاومتُ و تمسكتُ بكبريائي و لكن ما هي إلا لحظات حتى استسلمتُ .. يجب أن أهرع إلى عناقها فأنا لا أستطيع تحمّل تلك النظرة و حين التفتُ مرة أخرى لم أجدها

فجلست مكاني مقرفصاً أسفل إحدى الأشجار و كنت آمل أن تأتي بغتةً لتضمّني من ورائي لكنها لم تفعل .. أخذتُ أقرأ بعض صفحات الكتاب بذهن شارد يكاد لا يفهم ما يقرأ و من ثم نهضتُ من مكاني حتى اتجهتُ إلى ذلك السور مرة أخرى .. بعد ساعة أو أكثر

بدأتْ الشمس تودّع السماء و الضوء أصبح خافتاً جداً .. و لكن لازلتُ أستطيع الرؤية ، كنت في المنزل المتهالك حينها شاهدتُ

ليلى تخرج متجهة نحو السور .. فسلّمتُها نفسي و لحقتُ بها حتى عبرَت السور و دخلَت بين الأشجار و توقفَت تحت إحداها .. كانت شجرة من أشجار الزيتون ، حينها قالت اقترب ففعلتُ .. و قالت اقترب أكثر

ففعلتُ فقالت و قد سألتْ :

- لمَ تبتعدُ عنّي كلما اقتربتُ ؟؟

قلتُ بعد أن أخذتُ حيزي من الصمت :

- عندما سمعتكِ تستمعين لصوت ذلك المغني تضايقتُ منكِ كثيراً

و لم أكمل كلامي حتى مدّتْ يدها بحركة سريعة و أمسكَت كنزتي من موضع الصدر و جذبتني إليها و لثمتْ ثغري بقوة .. كانت قبلةً كالحلم ، للحظة توقف الزمن عندها خاصة مع غروب الشمس التقريبي و حلول الظلام مع تبقي بعض بصيص النور .. هذا الجو جعلني أشعر أن ذلك المشهد لم يكن حقيقياً . هناك ظاهرة تسمى (جامي فو) و هي أن تشعر للحظة أنك في حلم و كل شيء حولك غير حقيقي .. لا الاشخاص و لا المكان و أعتقد هذا ما حدث معي . كلّما تذكرتُ تلك اللحظة أذوب جالساً مكاني ، قبّلتُها كذلك فلم

أستطع تركها تفعلها بنفسها فجاريتُها بها . و من ثم شبكتُ يدي بيدها و مشينا بجانب السور و نحن ملتصقين ببعضنا بعضاً .. كانت لحظات تمنيّتها ألا تنتهي و لكنها يا لأسفي قد انتهت و أصبحت ماضي و ها أنا أسردها لك هنا .. قالت :

- لا تتركني

أجبتها و أنا أعانقها :

- من المستحيل أن أتركَكِ مهما حصل

و أردفتُ بعد لحظات :

- سأشتاق لكِ كثيراً

أجابتني ضاحكة و نسمات الهواء تلاطف جسيمنا المتلاحمين :

- أنا مِن الآن بدأتُ أشتاقُ لك

و ذهب ذلك اليوم و قضى قدرنا كلّاً منّا إلى فراشه حين جنَّ الليل و أُسدِل على يومنا هذا ستارة المسرح الحمراء و أُنهِيَ العرض و أخذ الجمهور بالتصفيق الحار .

تـمَّـت

فحوى المقابر

فتحَ عينيه ليرى ظلمة .. ظلمة تعانقه و تعتصره بين أركانها السوداء ، كان يرى تلك الخطوط و الأشكال العشوائية البيضاء التي تظهر لنا في الظلام .. تشعر كأنك تسافر إلى بُعدٍ آخر

كان ممدّداً فتلمَّس الأرض بيديه . لقد كان تراباً أسفله

" غريب " هذا ما قاله " أين أنا ؟ "

رجع إلى الخلف ليصطدم بجدار ترابي .. ما هذا ؟ و من ثم أدرك شيئاً جعله يعتصر خوفاً " هل أنا في القبر !!! "

كان مفزوعاً خائفاً .. متحسّراً على عمره الذي أضاعه أمام التلفاز على الأريكة .. لم يعش الحياة و لم يجرّب مفاضلها و مساوئها

في الحقيقة الموت سريع في نظري : كل سنة يحتفل الكثير بأعياد ميلادهم لكونهم كبروا سنة أخرى و لكن الحقيقة المرّة هي أنهم اقتربوا من الموت سنة أخرى .. هذا ما يسمّى بالتفكير المعاكس أو المشؤوم ، و الشؤم يذكرني بوجه (شوبنهاور) لسبب ما .

نحن لا نعيش حياتنا كما يجب .. نمضي ساعات أمام شاشة الهاتف و ساعات أمام التلفاز .. أيها القرّاء الأعزّاء الحياة

قصيرة سارعوا إلى الحب .. إلى العيش .. إلى العالم .. أحبّوا و أمضوا قدراً أكبر مع مَن تحبّون فلا أحد يعلم كم تبقى له من الوقت

دائماً ما نظن أننا نملك الكثير من الوقت و لكن الواقع المؤلم هو " لا وقت أبداً " ليس لديك متَّسع من الزمن و رصيد عمرك من الثواني يتلاحق الآن في هذه اللحظة و أنت تقرأ روايتي التي أنا نفسي لن أقرأها لأني أفضّل قراءة رواية لأديب حقيقي و ليس لنفسي !

الوقت يداهمك لا تصغي لأهلك الذين يمنعونك عن محبوبك فهم يعيشون حياتهم دون أن تتدخل أنت بها .. و الأصح أنهم " عاشوها " و قد أحبّوا و ربما لا .. عشها أنت و خذ نصيبك من الدنيا .. من السعادة .. من الأمان .. عالمنا يحضّ و يحرّض على المشاكل و النزاعات و الكراهية .. عالمنا يعتبر الحب كفراً و الكره متعة و النميمة و الغيبة لعبة .. يفضّلون أن تشتم حبيبك على أن تحبّه لأن الحب " عيب " عالمٌ بزيّ أخلاق عفنة و أناس بلهاء و بشر شريرة تكره المشاعر الإنسانية القلبية ..

عزيزي القارئ .. لا تدع المجتمع يتحكّم بحياتك و سيرها .. فهم لديهم حياتهم و أنت لديك حياتك .. لديك حياة واحدة فقط مع رصيد محدود من الوقت و الدقائق .. فعشها

سمع صوتاً بجانبه .. سقف القبر كان مرتفعاً قليلاً نحو المتر .. الصوت كان يأتي من الجدار الأيمن .. صوت كنقر أو ضرب

و ما هي إلا لحظات حتى شعر بالتراب انهمر من الجدار عليه بدأ يتأوّه و يسعل مبعداً التراب عن وجهه ، نظر بجانبه فرأى بصيص ضوء خافت ينير شيئاً بسيطاً من امتدادٍ لقبره .. و لكن كان هناك شخص في هذا الامتداد الذي ظهر بعد انهيار الجدار الترابي

- هذا قبري و هذا قبرك .. و الآن أصبحا أكبر و أوسع
- قــ .. قبر ؟
- لابد أنك جديد .. أنا هنا منذ أسبوع على ما أظن
- ماذا يحدث !! أنا لا أفهم شيئاً

تأوَّه قليلاً و تحرك من مكانه و قال : أنت ميّت .. جلبوك البارحة و لكن اليوم استيقظتَ أخيراً .. سمعتُ صوت حركتك .

صُدمتُ و لم أكد أفهم ما يحدث .. هل هذا هو الموت ؟ هل هذا ما حدث مع كل مَن مات و بكى الناس عليه و ذرفوا دموعهم ؟ استفاقوا و تحدثوا مع بعضهم ؟ أليس من الممكن أن يكون مقلباً ؟ دعابة ؟

- أعلم أنك تفاجأتَ من كينونة الموت و لكن هذه هي حقيقة الأمر .. نحن الذين توقفت أعضاء جسدهم الرئيسة و انتقلوا لمرحلة جديدة من الحياة .. من مرحلة العيش فوق الأرض إلى العيش أسفلها .. إن كانت تلك التي في الخارج تُسمى (دنيا) فما يجب أن تُسمى هذه ؟ هذه ليست (عُليا) و من الممكن تسميتها (سُفلى)

الآن يجب علينا إكمال العمل .. سنهدم حوائط قبورنا لنوسعها

- ما الذي يمنعنا من الخروج ؟ بما أنا نستطيع هدم قبورنا
- نحن لا نهدم قبورنا .. لقد خطرت لي فكرتك هذه في بادئ الأمر و حاولت الخروج و لكن هناك طاقة ما تمنعني .. لم أستطع فعل شيء سوى هدم حائط .. فلا الحفر في الأرض يفيدنا و لا الحفر للخارج .. نحن محتجزون هنا و يبدو أن الرّب سمح بهدم الجدران ليعطي الأموات بعض التسلية لإمضاء الوقت .. فالظاهر أنه قد أشفق علينا

قال ذلك و راح يحفر في جدار أمامنا ، كانت الرؤية صعبة جداً فقد كان النور يتسرّب من ثقب صغير من زاوية قبره .. ركّزتُ قليلاً و رأيتُ شكله مع قليل من التشويش .. كان يبدو رجلاً في الأربعينات من العمر ، أسمر البشرة و ذا وجه أقرب للشمبانزي .. سمين الجسد و متوسط الطول و له شارب كثّ مع لحية محلوقة و شعر خفيف

ساعدتُه في الحفر بعد خمس دقائق و عندما أحسسنا بالحائط قد أصبح ضعيفاً ضربناه ضربتين حتى انهار و فُتح ثقب كبير به

- هل هناك أحد ؟

جاءنا صوت من الداخل .. صوت عجوز قد هرِمَت : أنا هنا .. أنا هنا منذ ثلاثة أيام

- لا بأس لا بأس

قالها و أكمل ينزع بقايا الجدار .. و عندما انتهى كان قد أصبح المكان جيداً نوعاً ما .. و نستطيع الجلوس بشكل مريح ..

- حسناً أيتها العجوز و أيها الشاب الجديد .. فليعرفنا كلٌّ منكم عن نفسه

قالت العجوز : انا إيميلي .. في ربيعي الخامس و الثمانين

فردّ صديقي الشمبانزي : و أنا فريدو في ربيعي الثالث و الأربعين .. ماذا عنك ؟

قلتُ بتوتر و أنا أحاول استجماع نفسي : لا أتذكر إلا أحداثاً قليلة .. حتى اسمي لا أعرفه

- هذا طبيعي .. لم تستيقظ سوى من نصف ساعة

أومأتُ برأسي موافقاً

كان المكان يغصّ بظلام حالك و خاصة في البقعة التي أجلس فيها .. لكنني كنت أستطيع رؤية شيء غير واضح تقريباً من زملائي في المقبرة

سمعنا صوتاً من جدار خلفي .. فسارع فريدو و حفر ليفتح قبراً جديداً .. كانت صاحبته شابةً في العشرين .. لم أكن أستطيع رؤيتها تماماً و لكنها على ما يبدو نحيفة و سوداء الشعر .. صوتها يشبه شيئاً سمعته من قبل .. و عندما نظرتُ لفريدو عرفتُ .. لقد كان أشبه بصوت سعدان رأيته مرة على الانترنت.. يا إلهي أنحن في حديقة حيوانات .. أنثى بصوت سعدان و رجل بوجه شمبانزي و امرأة مسنّة تشبه الغوريلا

- انضمي إلينا .. نحن مثلك أيضاً

تحلّقنا جالسين .. و قالت ريتا (الشابة) : الوضع ممل هنا .. فليحكي كلّ منّا طريقة موته

هتف فريدو : نعم نعم .. فكرة ممتازة يا هذه

- ابدأ أنت يا فريدو

تنحنح و عدّل من وضعية جلوسه و بدأ : كنتُ في دار رعاية المسنين أزور أمي ، و فور خروجي التقيتُ بشاب لا أذكر شكله بشكل جيد .. قال لي أن هناك لصاً في منزلي و أنه قد رآه .. أسرعتُ إلى البيت معه و عندما دخلنا ركضتُ أبحث عنه و ما هي إلا لحظات حتى هوى شيء على رأسي

فتحتُ عينيّ لأرى الشاب نفسه يقيدني إلى كرسي و يضع لاصقاً على فمي ..

قال " حسناً أيها الغبي .. بدأنا اللعبة "

أمسك بعصا و ضربني على يديّ .. و من ثم على ساقيّ .. بطني .. كان الضرب مؤلماً بشدة

" ما رأيك أن ننتقل للمرحلة الثانية "

أخرج عود كبريت و أشعله و قال مع ابتسامة خبيثة مخيفة

" هل تشعر بالبرد ؟ "

رحتُ أتحرك و أتحرك و أنا أحاول الصراخ .. أحاول فكّ نفسي و لكن بلا جدى .. كان الحبل قوياً و ثخيناً ، قرّب العود من وجهي ثم ببطء شدّ ياقتي و ألقى بالعود داخل قميصي .. رحت أئنّ و أشعر بالحرق الذي سببه عود الثقاب

" لا تخف انطفئ بمجرد أن لامس جسدك "

كان العذاب البطيء أليماً فوق التصور .. لا أتمنى حتى لألدّ أعدائي أن يكون مكاني الآن

" أين المطبخ أيها العم ؟ "

" أوه لقد نسيت أنك مكمّم "

.. مدّ يده و نزع عن فمي اللاصق .. رحتُ أرجوه مرتجفاً

" أرجوك أن تتركني .. أنا لا أعرفك و لم أؤذيك .. أرجوك اتركني .. أرجـ "

قاطعني صائحاً : اصمت .. يبدو أنك ثرثار .. انتظر عندي فكرة جميلة

ذهب ناحية غرفة نومي و احضر منها خيطاً و إبرة و جلس أمامي على أحد الكراسي : حسناً يا ثرثار سنخيط قليلاً .. أتحب الخياطة ؟

راح يدخل الخيط بالإبرة

" جدتي كانت تحب الخياطة لذا تعلّمتُها منها .. و لكن أتعلم لقد حزنت قليلاً عليها ، لم أكن أقصد دفعها من على الدرج " ضحك و قرّب الإبرة من وجهي

لم أفهم في بادئ الأمر و لكنه قال " لا تتحرك " و أدخل الإبرة فوق شفتي العليا

رحت أصرخ و أهزّ نفسي بعنف لكنه أمسك رأسي بيد و ثبّته و راح يكمل عمله بيده الأخرى .. أخرج الإبرة من الجانب الآخر و أدخلها تحت شفتي السفلى .. لقد كان يخيط فمي !!

كنتُ أتحرك بعنف شديد خاصة مع الألم الذي أشعر به ..

لقد بدأت الدماء تسيل من شفتي بغزارة .. خِيطَ فمي!!

انتهى و ابتعد قليلاً و هو يراني و أنا أحاول فتح فمي دون جدوى .. كلما حاولتُ ازداد الألم و رحتُ أنزف بغزارة أكبر

أخرج هاتفه و أخذ صوراً بجانبي .. يا إلهي وقعتُ في قبضة وحش ..

الواقع واقع ، هناك وحوش على هيئة بشر .. الإنسان يستطيع أن يكون ملاكاً و يستطيع أن يكون وحشاً .. و قد يتجاوز مرحلة التوحش ، الإنسان أبشع مما تتوقع و أسوأ مما تظن .. أعلمتَ الآن لمَ خلق الله جهنم ؟

قال و هو ذاهب باتجاه المطبخ

" لم أتسلى بما فيه الكفاية "

رحتُ أحاول ركل الحبل .. الصراخ .. فقط لو كنت أستطيع قتل نفسي .. هذا أكثر راحة من أن يقتلني ذلك الشيطان بطريقة بطيئة .. إنه مهووس بالتعذيب و القتل و الدماء ، يشعر باللذة بسماع صراخي و أنيني .. يبدع بطرق القتل

خرج الشاب متقدماً نحوي و بيده سكين .. و دون أي مقدمات غرس السكين ببطء في يدي المقيّدة إلى يد الكرسي ، راح يغرسها و يغرسها بعمق أكثر .. أصرخ .. أولول .. أنازع .. لا فائدة

أخرج السكين و لعق دمائي " لذيذة و لكن حامضة بعض الشيء "

مزّق قميصي و خلعه عني

" لديك كرش يحتاج لاقتلاع "

غرز السكين في بطني و حفر دائرة مخرجاً قطعة لحم أصغر من كف اليد .. و من ثم جاء بملح

" يجب أن نضع بعض الملح ليتطعّم المذاق "

أدخل الملح و حشاه في الدائرة .. سأجنّ .. يكاد أن يُغمى عليّ من الألم .. الملح أشعل ناراً في عروقي .. لقد اقتلع قطعة من بطني !! أتدرك هذا ؟

_ سأنهي عذابك .. لقد أشفقت عليك ، اكتفيتُ منك

و غرس السكين في حلقي التي اخترقته إلى الجانب الآخر و رحتُ أختنق .. و لم أعد أرى شيئاً

طوال القصة كان الجميع يتعجب و يرمون السِباب على ذلك الوحش .. قالت ريتا : لقد متَّ ميتة شنيعة يا فريدو .. أنت الآن في أمان

قالت العجوز إيميلي :

- صحيح ما قلتِ .. إنه لموت أليم .. و لكنه لا شيء أمام ميتتي

نطقتُ أخيراً : و كيف متِّ ؟

- آه آه .. في ذلك اليوم المشؤوم كنتُ في الحافلة متجهة لمنزل حفيدي .. فصادفتُ شخصاً لطيفاً .. قدّم لي كعكة ..

قال لي " أنتِ تشبهين جدتي كثيراً"

- أحقاً ؟
- نعم .. كأنكِ هي

ارتحتُ لهذا الشاب و دعوتُه بعد حوار طويل إلى منزل حفيدي

ذهبنا سوية و إذ بحفيدي قد خرج مسبقاً مع أصدقاءه .. دخلنا إلى البيت فقد كانت معي نسخة احتياطية من المفتاح

سألتُ الشاب بعد أن جلسنا (أأنتَ مَن أعدّ تلك الكعكة ؟)

- نعم نعم .. حضّرتها في منزلي
- لقد كانت لذيذة جداً مع أني لا أحب الكعك
- ما رأيكِ أن أعلّمكِ صنعها ؟
- هذا جميل جداً . في مطبخ حفيدي جميع ما نحتاجه

نهضنا إلى المطبخ و أعددنا المكونات .. شعرتُ بنعاس رهيب بشكل مفاجئ .. أتذكر أنني نمت جالسة على الكرسي .. و عندما صحوتُ وجدتُ نفسي ممدّدة على الطاولة و مقيّدة إلى شيء أسفلي

- لا تقلقي يا عزيزتي أنتِ مقيدة إلى لوح حديدي يناسب حجمكِ
- ماذا يحصل يا ولدي .. ما الذي تفعله

سترين الآن ما أريد فعله .. شيء بسيط و جميل .. عشاء لحفيدك الحبيب

و فتح الفرن الكبير الذي كنا نستخدمه لإعداد كميّات كبيرة من الكعك .. كان الفرن يعمل .. و بدأ يقرّبني من الفرن بدفع اللوح أسفلي .. لقد أدخلني إليه .. أنا الآن داخله .. لقد أغلقه ، بدأت الحرارة تزداد و أنا أصرخ و أشعر بجسدي يحترق من الأسفل

أوه لاااااا .. لم أعد أشعر بأصابع يدي .. لقد احترقت بالكامل ، بدأتُ أشمّ رائحة لحمي !!

لحمي كان يُشوى .. أنا أحترق حيّة .. كنت أحسُّ بجسمي و أعضائي تذوب و تحترق .. أغمضتُ عينيّ أخيراً و لم أعد أشعر بشيء .

صرخَت ريتا بصوت عالي و راحت ترتجف

و صاح فريدو :

- يا لهذا المعتوه .. يا لهذه المسكينة .. يا لهذا الألم

قلتُ : هل من الممكن أن يكون قاتلك هو نفسه قاتل إيميلي

ردّ فريدو : ذلك ممكن .. فلهم ذات الأسلوب باقتياد الضحية و ذات الطريقة الكلامية و الأهم من ذلك ذات الوحشية "

قالت ريتا : حسناً .. حان الآن دورك (و أشارت إليّ)

- في الحقيقة لم أتذكر بعد سوى أنني متُّ بحادث سير .. لا أذكر سوى حين صدمتني السيارة
- إذن ريثما تتذكر .. سأروي قصتي قبلك :

كنتُ مع صديقي في إحدى غرف الفنادق

قاطعتها العجوز إيميلي : تقصدين حبيبك*

نظرَت لها في غيظ و أكملت : نعم نعم .. حبيبي ، كنّا نائمين حين سمعنا طرقاً على الباب ، فتح جاك الباب (اسم حبيبي) و تحدث قليلاً مع شخص ما و من ثم أفسح الطريق ليدخل

دخل أمامه رجل يرتدي زيّ موظف و بيده صندوق أدوات

همس لي جاك بكون هذا الرجل قد استدعاه المدير ليفحص أنابيب حمامات الفندق .. دخل إلى الحمام و لحق به جاك

كان صوت طرق يصدر من الداخل و من ثم بعد مرور ثلث ساعة فُتح الباب ، ناداني الرجل قائلاً :

" يا آنسة لقد أُغمي على صديقك "

هرعتُ إليه مسرعة و ما أن تجاوزتُ الباب حتى هوَت عليّ مطرقة طرحتني أرضاً .. كان جاك ممدّداً على الأرض مع بقعة دم متجمّعة حول رأسه ..

---

*الحبيب خارج الدول العربية و الإسلامية معناها الشخص الذي ينام مع محبوبته و يتعاملان مع بعضهما البعض كزوج و زوجة أيّ ليس لديهم ممنوع و بما أن شخصيات هذه القصة أجنبية فمن الطبيعي أن تعني كلمة " حبيب " المعنى السابق

أغمضتُ عينيّ و أنا أرى الرجل يقترب منّي و يحقن يدي بإبرة

استيقظتُ وسط إحساسي بوجع في رأسي و ألم غريب في بطني .. كان هناك شيء غريب و خاطئ .. لم أكن طبيعية ، فتحتُ عينيّ بصعوبة و أنا أكاد لا أستطيع الحراك
كنت على السرير و كان الرجل بجانبي يجلس على كرسي

" أوه لقد استيقظتِ يا عزيزة حبيبك " قلتُ له " ماذا تريد .. من أنت "

فقال بعد أن ضحك " ألن تسألي عن حبيبك ؟ "

أشحتُ بوجهي و تفحّصتُ الغرفة و لم أجد فيها أيّ أثر له

" أين جاك أيها القذر "

تمايل و نهض " و أخيراً سألتي عنه .. إنه هنا "

و وضع يده على بطني .. صرختُ بأعلى صوتي

" مااااذا !!! "

لم أفهم تماماً فأردفتُ

" كفاك سخرية .. أرني أين جاك أيها السافل "

أمسك سكيناً و اقترب مني

" حسناً بما أنك لا تصدقينني سترين بنفسك "

كشف عن بطني الذي كان هناك أثر شقٍ فيه و لكن تمّت خياطته .. و كان منتفخاً بشكل مريب .. غرس سكينه في بطني و مزّقَ الخيط .. و من ثم فتح الجرح و !!!!!! صرختُ بأعلى صوتي وسط ضحكاته المجنونة .. هذا مريض نفسي .. هذا مجنون .. لقد رأيتُ رأس جاك في بطني !!

" أوه يبدو أنكِ قد تفاجئتِ .. لقد قطعتُ رأسه و وضعته هنا .. مكان جميل أليس كذلك . الآن أنتِ حاملة بجاك "

و راح يقهقه .. المنظر كان أبشع مما تتصور ! كاد أن يُغمى عليّ .. و شعرتُ بموجة ألم لا تصدق قد اجتاحَت جسدي

حرّكت يدي بصعوبة عندما رأيته يدخل الحمام ، و أمسكتُ بمطرقة كانت بجانبي على خزانة صغيرة

" سأقتل نفسي .. لن أدعه يقوم بتعذيبي بعد الآن "

و قبل أن أهوي بالمطرقة على رأسي أمسك الرجل بالمطرقة و حملني بيديه .. كنت أصرخ و أصرخ عندما دخل الحمام و رماني بحوض الاستحمام بعد أن قال :

" نزهة جميلة " سقطتُ بالحوض المليء بالماء و رحتُ أختنق .. حاولتُ بكل جهدي أن أحرّك جسدي و أن أقاوم الاختناق و لكن آثار إبرة التخدير التي حقنني بها ما زالت ظاهرة .. أغمضتُ عينيّ شيئاً فشيئاً و أنا أرى من أسفل الماء وجه القاتل يتبسَّم لي

قال فريدو : ما هذه القصة المخيفة .. هذه من قصص الرعب و ليست واقعاً !!

ردَّت ريتا : جميعنا متنا مِيتةً بشعة فلا غرابة في هذا

قالت إيميلي العجوز : إذن لقد حملتِ بجاك

و راحت تضحك .. لامها فريدو و لكنها أجابَت : لقد انتهت المأساة يا ولدي .. نحن الآن أموات .. أنا متُّ مشوية مثل فراخ البط و الدجاج و أنتَ متَّ مذبوحاً كالكبش و تلك ماتت حاملة بحبيبها .. موتنا مثير للسخرية

و من ثم قال فريدو و قد نظر إليّ : و أنتَ .. ألم تتذكر بعد ؟

- بلى .. تذكرتُ
- حسناً هيّا أخبرنا قصتك

أومأتُ برأسي : ليس هنالك ما أقوله .. فأنا القاتل .

تـمَّـت

في الحلم نلتقِ

عدتُ لشقتي الصغيرة متعباً .. منهكاً من العمل

في نهاية كل يوم أشعر بجسدي غير قادر على حملي دقيقة واحدة .. و إني لأعود من العمل فأطبخ مضطراً لأتجنب الموت جوعاً

أعيش وحدي دون أهل و لا زوجة و قد أتعبني السيد سعد الدين في آخر فترة من طلبه الإيجار . كان يتصل بي ٨٣٧٨٦٧ مرة في اليوم ليذكرني و يرسل ابنه الصغير ذا المخاط المتدلّي من أنفه ليخبرني (قال بابا ادفع الإيجار)

كان سعد الدين رجلاً بكرش نصف كروي مع صلعة خالية من الشعر مثل صحراء الربع الخالي و أنف ممطوط لدرجة أني أظنه قد استعار أنف شفيق من كرتون سبونج بوب .. صوته كالماعز و صراخه كصوت دراجة نارية ..

لم يكن سعد الدين هو همّي الوحيد بل هناك أيضاً السيد نور الدين صاحب المتجر الذي يمدّ منزلي بالكهرباء مقابل أن أدفع له شهرياً .. كهرباء هذا الرجل الذي لا أعرف مصدرها أقلّ سعراً بكثير من كهرباء الدولة

نور الدين يشبه صاحبنا سعد الدين فهو كالفيل بدون أذنين و بأنف لا يعدّ طويلاً و لكنه كبير لدرجة أن تظنه حبتيّ كوسا ملتصقتين ببعضهما البعض ، نور الدين هذا وقح جداً فبدل أن يطرق الباب يرفسه حتى كدت أن أؤمن بوجود ثأر له مع هذا الباب المسكين

كالعادة استيقظتُ الساعة الواحدة بعد منتصف الليل على صوت ركل الباب و نفضه ، نهضتُ بتململ و فتحته لأجد في وجهي صاحبنا الفيل نور الدين

- أيها الأحمق متى ستدفع ثمن كهربائي .. لقد مضى عليها يومين كاملين
- أوه ! يومين كاملين !!! أكاد لا أصدق هذا كثير جداً .. يال وقاحتي

صرخ بشراسة فور انتهائي :

- و تجرأ على السخرية مني !! .. سآتيك غداً و إن كانت النقود ليست معك سأستدعي الشرطة
- حسناً نعم سنستدعي الشرطة سوياً .. مع السلامة

و أغلقتُ الباب .. لقد أصبحتُ مديناً لأكثر رجلين إزعاجاً في الحيّ بأكمله

حسناً لا تتعجب من تضخيمه لأمر اليومين الذينْ لم أدفع فيهما .. ففي نظر هذا الرجل عدد ساعات اليوم 24 ساعة و بما أنهما يومين فالمجموع 48 و في كل ساعة 60 دقيقة أيّ 120 دقيقة و في كل دقيقة 60 ثانية أي 60 دقيقة تساوي 3600 ثانية و بما أن لدينا 120 دقيقة فالناتج هو 7200 ثانية .. هذا رقم كبير .. سيحاسبني على كل ثانية مرّت و لم أسدّد النقود بها

.. هكذا هي الحال .. حياتي مليئة بهموم متشكلة على شكل سعادين و نوريي الدين

عدتُ لكنف سريري و لحافه الدافئ حينما شعرتُ بشعور غريب و برعشة تسري في جسدي .. ثَقُلَت جفوني و غطّت رؤيتي .. الآن لا شيء سوى السواد و الظلام .. هنا المأمن و هنا المهرب من عالمي البشع الضيّق

و على غير العادة تسّرب وميض ضوء أبيض و راح يزداد و يشتدّ شيئاً فشيئاً .. لحظات قبل أن أجد نفسي في حديقة غنّاء منتعشة تبعث على الانتعاش بخضرتها الفاقعة و أشجارها

النضِرة و شمسها الساطعة الدافئة .. سور خشبي أبيض اللون يحيط بها و من بعيد أرى كوخاً خشبياً بطابقين

لأول مرة أشعر بذلك الشعور .. شعور لا يوصف من الراحة و السعادة .. كل ذرة اوكسجين تعبر إلى رئتيّ كانت تبعث فيّ الحياة .. سربٌ من الغيوم البيضاء تشقّ طريقها عبر السماء . سناجب و أرانب .. قطط و غزلان ، سلاسل من الجبال المكتسية بمعطف أخضر تلتف حولي كأنها تعانق هذا المكان .. نهر ينبع من ملتقى جبلين عابراً هذه الحديقة وصولاً إلى بحيرة صغيرة يسبح فيها بعض البط أكاد أراها و هي تتوسط جمعاً من الأشجار و الشجيرات

كانت الحديقة كبيرة و ممتدّة على مساحة عملاقة و محتوياتها غير قابلة للعد .. يا إلهي أأنا في الجنة ، مشيتُ بين أشجارها و عشبها متجهاً نحو الكوخ و بعد نصف ساعة وصلتُ إليه

كانت واجهته الأمامية تضمّ نافذتين و باب يتوسطهما و أمام بابه شرفة صغيرة و جميلة .. ينقسم الكوخ لطابق ثاني لا أرى منه سوى شرفته .. و بعض الزهور المتفتحة موضوعة في مقدمة النافذة .. طرقتُ الباب و لم يفتح أحد .. لا أريد أن أقتحم البيت و لا أن يأتي صاحبه ليظنني لص .. سأدع نفسي مرتاحاً

و لن أفسد صفو الهدوء .. استدرتُ لأغادر و إذ أرى أمامي فتاة شقراء ببشرة بيضاء مع قليل من النمش

- مَن أنت و أين أنا

قلتُ لها : أبحث عن إجابة ذات السؤال

نظرَت إليّ ببراءة و خيفة و ردَّت تقول : لقد نمت .. نعم أنا أتذكر ، و لكن ما الذي جاء بي هنا

- أنا كذلك مثلكِ تماماً .. هل من المعقول أننا متنا و دلفنا الفردوس ؟

نظرَت إليّ بخوف : هل متنا ؟ هل يعقل هذا ؟

- لا أدري .. فمكان مثل هذا من المستحيل أن يوجد على الأرض

سادَت لحظة من الصمت و من ثم رفعَت رأسها بسرعة و نطقَت : ماذا لو كنّا نحلم ؟

أجبتُ باستغراب : نحلم ؟ سوية ؟

هزَّت رأسها إيجاباً : نعم لمَ لا ؟ هناك نوعية من الأحلام قرأتُ عنها سابقاً تسّمى بالأحلام المشتركة .. و هي أن يتشارك اثنان نفس الحلم بكامل التفاصيل

فكّرت لهنيهة و قلتُ بعدم اقتناع : و لكن إن كنّا في حلم هذا يعني أننا سنصحو قريباً

- نعم هذا ما سيحدث

مشينا قليلاً و قرّرنا ريثما نستيقظ أن نعرّف عن نفسينا

- اسمي سارة .. من الولايات المتحدة الأمريكية و لكن أبي عربي و أمي أمريكية و قد اكتسبتُ عربيّتي من والدي و أعيش في الولايات
- حقاً ؟ هذا جميل ، أن تكتسبي لغة صعبة كالعربية و أن تتقنيها دون دراسة .. و لكن يجب أن تكوني قد اكتسبتِ الإنجليزية أيضاً أليس كذلك ؟
- نعم هذا صحيح .. اكتسبتُها من أمي أولاً .. و دولتي ثانياً
- حسناً و أنا ورد .. من دولة بعيدة جداً عن دولتكِ
- ألن تذكر اسم دولتك ؟
- لا .. لا حاجة لهذا

كنّا قد وصلنا إلى أسفل شجرة كبيرة ذات تفرّعات و أغصان ممتلئة بأوراقها الكثّة الخضراء .. جلسنا أسفلها و من ثم .. هوووب .. سواد .. ظلام .. فتحتُ عينيّ لأرى سقف غرفتي ..

نهضتُ و تلفّتُ حولي لأجد غرفتي كما هي و قد حلَّ الصباح و تسلّلَت أشعة الشمس من النافذة

- إذاً كنتُ أحلم حقاً !

كشفتُ عنّي لحافي و مشيتُ إلى النافذة لأقف هناك و أناظر الحيّ .. باعة العربات يتجولون و يصيحون .. أولاد يلعبون الكرة و يسددون الهدف رقم ٧٥٤٥٨٩ .. و طبعاً عندما يتضايق صاحب الكرة و يمنعونه من الغش يلتقط كرته و يهمّ مغادراً منهياً اللعبة لأنه تضايق

و بعض الشباب بعقول الصراصير يقفون منتظرين أمام مدرسة الفتيات .. كل شيء طبيعي و يجري كما كان و لكن السؤال الجدير بالذكر " هل كانت سارة من ضمن الحلم أم أنها

كانت حقيقة " هكذا فكّرتُ .. رحتُ أسترجع مجريات أحداث الحلم حتى رنَّ المنبه .. أطفئته :

" أنا من يجب أن أوقظك و ليس أنت " ارتديتُ ثيابي متحضّراً ليوم عمل شاق جديد ممل و خرجتُ

تصادفتُ في الطريق بأجمل وجه يمكن أن أتصبّح به .. نعم هذا هو سعد الدين و الأجمل من ذلك أن نور الدين كان يتحدث معه .. و ما أن رؤوني حتى بدأا بالصياح و الشتم ما دفعني لأن أسرع الخطى متظاهراً بعدم رؤيتهما .. وصلتُ لعملي و قد قضيتُ وقتي بكامله شارداً مفكراً بحلمي .. ما نتج عنه تقصيري بشكل كبير

عدتُ لشقتي مساءً عندما توارت الشمس خلف الجبال .. و حدثَت ذات الأحداث المعتادة المتعلّقة بالحبيبين سعد و نور الدين .. الذين لا أدري إن كانا قد هربا من حديقة الحيوانات و عاش كلّ منهما كبشري عن طريق الخطأ

هناك الكثير من الحلقات المفرغة في هذا العالم .. لم أجد نفسي إلا تائهاً أبلهاً .. عندما كنتُ في سن العاشرة حلمتُ كثيراً بكون شخصيتي المستقبلية وسيمة و غنيّة و ذا نفوذ و سلطة متزوجاً من أربعة نساء فاتنات مع سرب من الأولاد العفاريت ..

و لكل حلم نهاية و نهاية أحلامي الوردية كانت حين طُردتُ من المدرسة ليمنعني أبي من العودة إليها و يرسلني لأعمل في ورشة حدادة .. نعم هكذا .. بهذه البساطة ، هذا هو مستقبلي الأسود الذي كان ينتظرني بينما تركني أبحر و أسرح في خيالي

خلعتُ عني ثياب العمل و ارتديتُ بيجامة النوم و ارتميت على سريري لأغرق في بحر الهدوء المريح ..

عدتُ أُبحر في ظلام النوم حتى تسرّب ذلك الضوء من جديد و عدتُ إلى جنتي ! كان المكان أجمل مما تتصور ، أنا أشك كوني في حلم .. فإني لأعلم الأحلام و الرؤى و هذا لا يشبه أبداً أيّ حلم عادي .. أشعر بواقعية رهيبة كأني مستيقظ ..

في الحلم أنت لا تحسّ بسخونة أو برودة و لا بألم أيّ أن أحاسيسك معدومة و لكن لا شيء مما ذكرته ينطبق على هذا المكان .. أشعر و أحسُّ بكل شيء .. و لكن الفارق هنا عن الواقع أنه لا ألم جسديّ بل راحة عظيمة .. فيا ترى ما ماهية هذا المكان ؟

رأيتُ سارة تقترب من بعيد و بعد وصولها هتفَت بسعادة : ها قد عدنا .. ألم أقل لك أنه حلم مشترك

- لا أدري يا سارة .. لا أشعر بكونه حلماً

قالت تعيد جملتي مع تضخيم صوتها : لا أدري يا سارة لا أشعر بكونه حلماً

ضحكتُ لحركات وجهها .. و من ثم قلت لها : ما رأيك أن ندخل الكوخ

قالت بحماسة : نعم نعم هيّا بنا .. انطلاق Go

أمسكَت بيدي و جرّتني وراءها .. وصلنا للكوخ .. تفحّصناه عن قرب و لكنّا لم نجد ثغرة واحدة .. و من ثم خطرَت لسارة فكرة : ما رأيك أن ندخل من خلال نافذة الطابق العلوي ؟ إنها مفتوحة

- يمكننا ذلك و لكن كيف سنصل إليها أساساً

بحثَت بناظريْها و جرَت باتجاه الغابة .. عادت و هي تجرّ جذعاً متوسط الحجم و صغيراً بعض الشيء

- لا تقف هناك و تنظر إليّ .. ضع هذا الجذع تحت النافذة بسرعة

- و لكن ما الذي تريديـ ..
- صه صه ! هيّا افعل ما قلت
- حسناً حاضر حاضر

حملتُ الجذع و وضعته حيث طلبَت و من ثم دفعَتني و جعلَتني أقف عليه ، تمسَّكَت بي و تسلّقَت جذعي السفلي و من ثم تعلّقَت برقبتي و منها وقفَت على كتفي .. أثناء صعودها كنت كل ما أفعله هو (إي .. أوه .. آه .. آي) فقد كانت تارة تركلني عن غير قصد على خاصرتي و تارة تسقط على قدمي و تارة أخرى تدخل يدها في عيني و تتعلّق برقبتي فتخنقني

وصلَت إلى النافذة بصعوبة و تعلّقَت بكفوف يديها على إفريزها .. ما دفعني إلى أن أضع قدميها على كفّيّ و أرفعها حتى استطاعَت الدخول ، بعدما دخلت (تدعبلَت) إلى الداخل أطلَّت برأسها منادية : هاي ورد .. هل ستبقى هناك هيّا ادخل الإطلالة جميلة هنا

فصحتُ متذمّراً : سارة أيتها الحمقاء .. برأيكِ لمَ دخلتِ من النافذة ؟

صمتَت هنيهة تفكّر و ردت : لماذا ؟ لقد نسيت لا أعلم

ضربتُ كفّي بوجهي و تأفَّفتُ من حماقتها و رددتُ بهدوء : سارة .. افتحي الباب

أجابت تصيح : مااااذا .. لم أسمعك

صرختُ و قد أفزعتُها : افتحي البااااب

- أوه أوه . حسناً آسفة لقد نسيتُ .. نعم أنا .. حسناً

و جرَت نحو الداخل و قامت بفتحه بعد مناقشة كبرى .. تقدَّمتُ و أنا أزفر بحنق و نفاذ صبر

كان الكوخ عبارة عن صالة صغيرة بأريكة و موقد و بعض رؤوس الغزلان و الماعز المحنّطة المعلّقة على الجدار الأيسر .. و سجادة مصنوعة من فراء دب بنيّ

كانت هناك غرفة أخرى و هي غرفة نوم بسرير يتّسع لشخصين و نافذة و خزانة بمرآة .. المطبخ عريض أكثر مما هو طويل .. في الصالة درج يصعد إلى الطابق الثاني الذي يضمّ غرفتين اثنتين إحداهما حمام .. في الواقع كان بيتاً ليس كوخاً كما ظننته في البداية

كنتُ أنزل على الدرج لأرى سارة التي كانت تمشي أمامي قد اختفَت ، فانزلقَت قدمي و وقعتُ و بعد أن اصطدمتُ بالأرض

استيقظت .. لم أتحرك بل بقيتُ صامتاً مفكراً .. في العادة تستيقظ من الحلم بضربة أو سقوط من مكان مرتفع و هذا بالضبط ما حدث معي الآن .. فهل هو حلم ؟ أنا حقاً محتار في أمري

الأحلام أجمل مما توقعتُ إذاً .. ألقيت نظرة على بريد حاسوبي لأجد رسالة من المدير تخبرنا بتعطيل دوام اليوم .. الأمر الذي تهادَت بسببه نشوة السعادة إلى يومي . و ما أجمل يوماً بلا رؤية وجه مديري المدعبَل و وجه زميلي حسن الذي لا أدري لمَ عندما أرى وجهه أتذكر دعوة أمي (الله يبعد عنك أولاد الحرام) .. حسناً يوم بلا إرهاق و بلا عمل

نأكل .. ننام .. نصحو .. نأكل .. ننام

جلستُ أستمتع بعطلتي .. أطهو و آكل .. أتشاجر مع صاحبيْنا الفِيَلة .. أتصفح الانترنت و أشاهد أفلاماً بشكل متواصل

عند حلول المساء بدأتُ أشعر بالملل .. و الواقع أنني اشتقتُ لسارة و لحديقتنا .. حقاً إن النوم أصبح أجمل شيء يحصل لي طوال يومي .. لكنّي إلى الآن لم أصدّق بكون ذلك المكان عبارة عن حلم ، لذا بما أنني أجلس أمام شاشة اللابتوب لمَ لا أبحث و أتقصّى عن الأمر ؟

رحتُ أكتب في محرّك البحث كلمات و جُمل بصعوبة .. لا أدري عمّا أبحث و لا أدري ماذا عليّ أن أكتب حتى أجد مرادي .. جرّبتُ : تنام و تصحو في الجنة .. تنام و تذهب إلى مكان جميل .. تنام و تنتقل لحديقة .. تنام و تجد نفسك مع شخص آخر في مكان ما

و لكن لا فائدة .. لا فائدة ترجى إطلاقاً .. فكلّ ما كان يظهر لي هو (لحظة دخول الجنة .. شروط دخولك للجنة .. هل بعد الموت ستدخل الجنة ؟) كما ترى لم أجد شيئاً مثيراً للاهتمام

و المثير للضحك أنني تصادفتُ مع مقال عنوانه (وصف حقيقي و مفصّل للجنة) لا أعرف صاحب المقال و لكن على ما يبدو أنّه قد زارها و قرّر كتابة وصف عنها .. هذا ما توحيه كلمة (مفصّل) ..

لا أعلم ما يجول في عقول هؤلاء القوم .. الذين يعنونون منشوراتهم بعناوين مضحكة و مثيرة للسخرية بهدف حصد المشاهدات

رحتُ أجول الانترنت و محرّكات البحث حتى تصادفتُ مع مقال غريب العنوان بعض الشيء و لكن ليس له صلة بأمري

(الإسقاط النجمي و الانتقال عند النوم) أثار عنوانه هذا فضولي و فتحتُه .. حينها تعرّفتُ على أمر غريب أسمع للمرة الأولى عنه و هو على ما يبدو أقرب للخيال ، كان يتحدث الناشر عن عملية تدعى " الإسقاط النجمي " و هو خروج النفس من الجسد أو كما نسمّيها خروج الروح .. عبر عملية تشبه النوم و من ثم التجوال بروحك في العالم .. ستكون أشبه بالشبح أو الطيف لا يراك أحد و لكنك ترى .. تطير و تحلّق و تخترق الأشياء ..

فكرة مجنونة حقاً و الكثير من التفاصيل الأخرى التي تثير محبّي خوارق الطبيعية ، ما لفت انتباهي هو جزئية تقول :

" من الممكن في حالات نادرة أن يحدث اسقاط نجمي تلقائي و لكن إلى عالم أو مكان معزول عن البشر غير موجود على الأرض .. مكان روحي يناسب الروح الذاهبة إليه "

كنتُ أشرب القهوة و بعد أن قرأتُ تلك الجزئية بصقتُ و أخرجتُ كل ما كان في فمي " لقد وجدتهاا " و عندها بدأتُ أتعمق بأمر الاسقاط النجمي و اكتشفتُ الكثير من الأشياء المرتبطة بذهابي لذلك المكان .. ذُكر في أحد المواقع أن الأرواح التي خرجَت من أجسادها عبر الاسقاط النجمي تستطيع أن تتلاقى و تتكلم مع بعضها البعض .. عملية القيام

بالإسقاط صعبة جداً و تحتاج لتدريب طويل و لكن في حالات شاذة تخرج أرواح أشخاص عن غير قصد و دون تدريب و بذل أيّ جهد ..

و إن أرادت هذا الفئة أن تستمر بخروجها من الجسد ما عليها إلّا أن تقبل بحدوث هذا الأمر عند النوم

أمضيتُ الليل كلّه أطالع هذا الموضوع و خطر لي أخيراً أن أبحث عن حساب سارة على الانترنت و طبعاً لأنني كنت أعرف معلومات شخصية كثيرة عنها فإني قد وجدتها بسهولة و تواصلتُ معها و حدّثتُها عن الأمر .. و قرّرنا أن نسمح بحدوث الاسقاط النجمي هذه الليلة أيضاً

هرعتُ إلى النوم بشوق و نمتُ بصعوبة من فرط حماسي .. و كما ترى .. أمشي الآن إلى البيت الخشبي لأرى إن كانت سارة قد وصلَت .. و لكنها لم تأتِ فإني لم أجد لها أثراً ..

انتظرتُ طويلاً و لم يظهر أيّ تغيّر فنهضتُ أسير في الحديقة بين الأشجار و إذ أسمع صوت غناء خافت ..

اقتربتُ قليلاً و تسلّلتُ بين الشجيرات لأرى سارة تجلس قرب البحيرة الصغيرة و تغنّي بصوت عذب مقطع من إحدى أغاني العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ :

« أنا لك على طول .. خلّيك ليّا .. خد عينـي منّـي و طل عليّا .. و خد الاتنين و اسأل فيّا .. من أوّل يوم راح منّـي النوم »

كلما سمعتُ هذا المقطع أشعر براحة عظيمة !!

بالأخص المقطع الأخير « *من أوّل يوم راح منّـي النوم* » يغنّيها بطريقة تدعوني للنوم على عكس كلمات الأغنية .. في الحقيقة عبد الحليم دائماً ما اعتبرته الصوت الوحيد الذي يهزّ مشاعري بعد صوت تلك المشاكسة الصغيرة .. ذات العيون البنيّة المرحة ، أتعلم أنه قد بِيع ما يزيد عن 80 مليون اسطوانة موسيقية لعبد الحليم ؟ و هذه الاسطوانات فحسب فما بالك بأغانيه المرفوعة على مواقع التواصل الاجتماعي .. كم مرّة يا ترى تُسمع يومياً

صوت هذا الرجل يتردد منذ ما يقارب القرن حتى الآن في كل منزل عربي ، حازت أم كلثوم على أجمل صوت امرأة و أنا أصدرتُ قائمة جديدة تنتقل فيه أم كلثوم إلى المركز الثاني و تتصدر الأول مشاكستي .. لا أحد يعلم تأثير همساتها في

مسمعيّ ولا تلك النغمة المجنونة الدافئة التي تتأرجح في صوتها .. آهٍ من عشق قد فتك بي و جعلني دائم الشرود في دروسي .. و آه حين تضحك لي وسط حشد من الناس .. أشعر وقتها بشيء يدفعني إلى الصراخ بـ(أحبّكِ أيتها البيضاء) .

اقتربتُ قليلاً و لكنها انتبهَت إليّ و استدارت قائلة : أين كنت ؟ لقد بحثتُ عنك كثيراً و عندما تعبتُ جئتُ إلى هنا

مشيتُ و جلستُ بجانبها و أجبتُ : كنتُ أبحث عنكِ أيضاً .. و لكن دعينا من هذا الأمر .. الآن قولي لي هل تغنّين دائماً بهذا الشكل ؟

توترت مخفضةً رأسها و قالت : نعم و لكن لا أحبّ الغناء أمام أحد .. صوتي ليس بهذا الجمال

- و لكن صوتكِ كان جميلاً جداً .. لقد سحرتني بتلك المقطوعة

رفعَت رأسها و من ثم احمرَّت خداها مع طيف ابتسامة خجلة هامسة بصوت خفيض : لم أكن أدري

وضعتُ يدي على يدها .. التفتَت إلي فقلت بسرعة و أنا أسحب يدي : آسف .. حدث عن غير قصد

أومأتْ برأسها و نهضَت و من ثم .. هووووب .. وقعَت فوقي .. بل لنقل ارتمَت فوقي .. و نظرَت لبؤبؤ عينيّ و نطقَت : هل تحرّك ذلك الشيء الصغير هنا

و أشارت بإصبعها إلى مكان تواجد قلبي .. لم أدري كيف أجيبها فأردفَت بسرعة : حسناً أنا أيضاً شعرتُ بذلك الشعور

و ابتعدَت و راحَت تمشي متمايلة من السعادة .. لم أحتمل فقمتُ من مكاني و جريتُ ورائها صائحاً : هل تحبينني يا سارة ؟

استدارَت و راحت تتفرسني بنظراتها و تراني بجسد متوتر و صدر يعلو و يهبط مع ملامح قلق تعلو وجهي

- نعم

و ركضَت مبتعدة .. لحقتُ بها و دخلتُ البيت ورائها لأفاجئ بعصير يُرشّ في وجهي

- هيّا هيّا ألا تحبني ؟

أكملتُ ما بدأته و رحت ألاحقها .. كانت سريعة حقاً و لكني في النهاية أمسكتُ بها و دون أيّ مقدمات لثمتُها حتى شعرتُ أنّي سيغمى عليّ

جرَت إلى الحديقة ضاحكة " ما مشكلة هذه الفتاة لا تتوقف عن الجري " مشيتُ هذه المرة مشياً .. التفتَت ورائها لتراني لا أركض خلفها .. اقتربَت باتجاهي و قالت : مَن يريد غزالاً عليه أن يمسك به لا أن يمشي وراءه

ابتسمتُ لها و كدتُ أن أضع يدي على شعرها لولا أنها ضحكَت في وجهي و عادت للهرب ، و هكذا بقيتُ أجري وراءها و أمسك بها و تهرب و أجري و أجري و تهرب .. هل يا ترى إذا تزوجتها كلما أردتُ الجلوس بجانبها عليّ أن أجري وراءها ..

كنتُ مستلقياً على العشب عندما كنت أضمّها بجانبي .. غيوم بيضاء و سماء زرقاء و شمس ساطعة لا حارقة مع نسمات منعشة و أزهار تحيط جسميْنا و تداعبهما دون تدخل الحشرات و لا هجوم من مستعمرة نمل يعمل ضد اتحاد الصراصير و الجراد .. لا خوف هنا .. لا اشمئزاز .. لا قرف .. لا قلق .. سعادة و حسب هذا كل ما في الأمر

- هل نستطيع أن نلتقي على أرض الواقع
- في الحقيقة لا .. دولتي بعيدة جداً عنكِ و لا أستطيع السفر كما أنكِ لا تستطيعين أيضاً

ردَّت بحزن : نعم معك حق

- أتعلمين.. ليتني أعيش معك إلى الأبد
- و أنتَ قلتها " ليت "

تأفّفتُ متذمراً .. ماذا لو كنت مكاني ؟ تقابل شخصك العزيز فقط في عالم لا تعلم ماهيته و لا تستطيعان اللقاء أبداً على أرض الواقع .. أعطني الحل ؟ لا حل طبعاً إلا في خيال المؤلفين و لحسن حظي أنني منهم

- أتعلمين أني لا أشعر بالأمان إلا معكِ

تبسَّمَت قائلة : أبهذه السرعة ؟ لم يمضِ وقت على التقاءنا

-أعلم و لكن هذه الحقيقة

- حسناً و بماذا تشعر أيــ...

هووووب .. انقطعَت الكهرباء .. أقصد أن الظلمة قد حلَّت و من ثم فتحتُ أجفاني لأجد نفسي في سريري

استيقظتُ على صوت رنين هاتفي ، نهضتُ و رفعتُ السماعة:

- الو
- السيد ورد ؟
- نعم هذا أنا
- نبلغك أن المدير قام بطردك من العمل .. هذا لأنك ارتكبتَ خطأً فظيعاً في آخر يوم .. كما أنه قد أبلغ الشرطة عنك بسبب خطأك الذي خسرنا نتيجته الكثير
- انتظر انتظر .. قبل أن تغلق لن أسألك عن أيّ شيء متعلّق بالخطأ .. لكن لدي سؤال ملحّ
- تفضل
- ما الذي ستفعله الشرطة بي ؟
- على قدر ما سمعتُ أنك ستبقى مسجوناً لمدة تسع سنوات مع ثلاث سنوات من الأشغال الشاقة

- ماذاااااااا .. هل خطئي كبير إلى هذه الدرجة ؟؟
- خسرنا مبلغاً ضخماً و المدير يعتقد أنك متعمد .. أو أنك سرقته
- و لكنــ...
- طن .. طن .. طن

سحقاً !! لقد أغلق الخط .. تسع سنوات!! مع ثلاث سنوات من الأشغال الشاقة ! ما هذا الحكم القاسي

و ما هي إلا لحظات حتى ضُرب الباب بقسوة .. يا إلهي هل وصلت الشرطة ! .. فتحتُه متردداً لأرى سعد الدين بجانبه نور الدين و قد قالا :

- لم نعد نطيق صبراً عليك يا ولد .. أبلغنا الشرطة و هي في طريقها إلى هنا .. ستطردك من المنزل مباشرة و ستسدد دَينك لنور الدين حتى و إن لم يكن معك سوى ثمن طعامك .. ستدفع كل ما عندك أو أن تبقى في السجن

صفقتُ الباب مباشرة و لم أستطع تحمّل نفسي .. جلستُ على سريري بجسد مرتعش و عينين دامعتين .. أنا خائف .. حقاً خائف .. إنني وحيد هنا و الجميع ضدي .. أريد مخرجاً أريد

مهرباً .. حينها فقط خطرَت في بالي فكرة .. بصيص أمل.. أمل أخير للراحة

هرعت للابتوب و اتصلتُ بسارة و أخبرتُها بطريقة مختصرة عما حدث و عرضتُ عليها التالي : سارة .. ليس أمامي سوى مهرب واحد و لحسن حظي مهربٌ رائع إن نجحَ .. و لكن لن أنفذه دونك

- حسناً هيّا هات ما عندك
- منذ قليل تذكرتُ فقرة قرأتها في إحدى المقالات المتعلقة بالاسقاط النجمي .. كانت تقول بإمكانية مغادرة الروح الجسد عبر الإسقاط إلى مكاننا الذي نلتقي فيه و لكن هذه المرة رحيل دون عودة .. سنبقى هناك .. نعيش و نحيا و أما أجسادنا فستموت هنا و كل ذلك عن طريق خطوات بسيطة
- و لكن .. أليست فكرة مخيفة
- نعم لكنها جميلة .. ما الذي يربطني بهذا العالم سوى هذا الجسد ؟ دعينا نفعلها سوية قبل أن تصل الشرطة .. دعينا لا نفترق .. دعينا نعيش هناك دون عوائق و مخاوف .. دون تدخّل أحد بشأننا .. أنا و أنتِ .. روحي و روحكِ .. حياةً سرمدية أبدية

صمتَت سارة لحظات و قالت بعدها بحزم : اذكر تفاصيل الطريقة بسرعة .. نعم لنفعلها

- أولاً ننام مثل كل مرة و لكن هذه المرة عند ظهور ذلك النور علينا أن نحاول النظر للخلف .. حينها سنرى جسدنا أسفلنا بعيداً عنّا و أننا نعوم فوقه و يربطنا به حبل أو خيط من الفضة و يسمى بالخيط النجمي .. علينا أن نسرع قبل أن تصل أرواحنا للحديقة و نقوم بقطعه بأيدينا و أسناننا إن تطلَّب الأمر فهذا هو الشيء الوحيد الذي يربط روحنا بالجسد و ما أن يتم قطعه حتى تتحرر الروح و يموت الجسد
- حسناً حسناً فهمت .. علينا أن نسرع . قم و ابدأ بها هيا بسرعة

أغلقتُ اللابتوب حينما سمعتُ صوت سيارات الشرطة تقترب .. هرعتُ للسرير و تمدَّدتُ عليه .. كنت لا أستطيع النوم بسبب التوتر و الخوف و صوت سيارات الشرطة قد توقفَت أسفل المنزل .. هيّا .. هيّا .. هيّا أرجوك نم الآن .. نم الآن .. لحظتها رأيتُ الضوء الأبيض يسطع و حاولتُ بكل قوتي الاستدارة للخلف و قد نجحتُ بهذا بصعوبة بالغة .. كان جسدي ممدَّداً نائماً ..

و حبل فضيّ يصل بيني و بينه ، بدأ الباب يُطرق

أمسكتُ بالحبل و رحتُ أحاول تمزيقه .. أشدُّ و أشدُ ، لا فائدة.. الطرق يزداد و التوتر يزداد .. رحتُ أزيد من قوتي و أشدُّ بقوة أكبر .. يا إلهي لو اقتحموا عليّ المكان و صحى جسدي سيَفسُد كل شيء !!

أوه لقد بدأوا بخلع الباب .. الباب يضرب بقوة .. طاق

طاق .. افتح الباب .. الشرطة هنا .. طااق طاااق .. سنخلع الباب .. أمسكتُ بالحبل و وضعتُه بين أسناني و رحتُ أعضّه و أشدّه بيدي بكل ما أُوتيتُ من قوة .. خُلع الباب و اقتحم رجال الشرطة الشقة

- هاي أيها النائم هيّا
- هيّا معنا

نفذ صبر أحدهم و هزّ جسد ورد صارخاً : كفاك نوماً .. ستنام بالسجن

و لكن جسد ورد لم يُبدِ أيّة ردة فعل .. لم يتحرك أبداً .. حدَّق رجال الشرطة ببعضهم البعض " هل الشاب ميت؟ "

اقترب أحدهم من جسده و فحص نبضه و صدره

و من ثم قال بخيبة :

- نعم .. لا نبض .. لا نفَس

تـمَّـت

القبر

لا أحب الجنازات و لا زيارة المقابر فإني أكره الموت كرهاً شديداً و أعشق الحياة بما فيها من ملذّات و ميزات لدرجة أظن أني سأعيش إلى الأبد .. لا أريد الموت ..

فكرة أن أُنسى بعد فترة من الزمن تثير جنوني

في الواقع لاحظتُ في السنوات الأخيرة أصبح الجميع يتعامل معي بوجه جاف .. أمشي في الطريق فلا يلقي عليّ التحيّة أحد .. لا يزورني أحد في منزلي .. أنا شاب أنام وحيداً و أصحو وحيداً ..

البارحة خيّمَت سنة 2020 على زماننا و تقويمنا و ها أنا الآن أمشي مجبراً بحكم القرابة بجنازة جد أمي الذي كان من المفترض أن يعيش ليوم الدين لأنه وقّع اتفاقية مع ملك الموت فعمر هذا الرجل زاد عن 125 سنة !!!

كانت الجنازة كأيّ أخرى .. مملّة .. بطيئة .. مليئة بنساء يبكون .. لا أدري علامَ يحزنون .. هل يريدونه أن يعيش 200 سنة ؟ ليس شاباً قد مات في ريعان شبابه و لا رجلاً لديه أولاد تيتّموا و زوجة ترمَّلَت من بعده .. إذا كانت هذه نهاية كلّ منّا فإني لأعجب حق العجب من المغترّين بأنفسهم و المتكبّرين ، ما بالك ؟ ما الذي يميّزك عن عامة الناس ؟ مالك ؟ وسامتك ؟

لا أرى شيئاً يدعو للغرور .. لا وجود في نظري لإنسان قبيح

جميعنا قبيحون بعيون أناس و جميلون بعيون أخرى

بل و هناك من نحن ملائكة في عينيه .. فعلامَ يغترُّ الإنسان بنفسه و هو يمشي فوق الأرض و سينزل أسفلها عمّا قريب ؟

سيكون مثله كمثل التراب لا قيمة له .. و مع مرور السنوات ربما يُهدم قبره و يصبح جزءاً من أرض فلاح أو طريقاً يدوس عليه المئات كل يوم

بعد الدفن كان هناك آنسة ترتدي قبعة و معطفاً أسود و تذرف الدموع ، كانت شابةً في العشرينات من العمر .. تقدَّمتُ نحوها و سألتُها : مرحباً يا آنسة

لم تردّ عليّ و لم تنظر إليّ حتى .. كالعادة جميع الناس هكذا .. وقحون غير عابئين بمشاعر الآخرين .. غادرتُ المكان و رحتُ أتمشى بين شواهد القبور ، رأيتُ الكثير من الأسماء الغريبة بل لنقل المضحكة " سعاد محمد بطيخة " .. " رابح حمدي قطرميز " .. " مجعص عامر الهكضت " .. " محمد حبيب العنزة "

لا أدري كيف اختار أجدادهم هذه الألقاب و لكنّي لا أشك أنهم لم يختاروها .. بل ربما أطلقها الناس عليهم و تماشَت في عائلتهم إلى أحفادهم عبر السنين

رأيتُ قبراً بعيداً بين القبور لكنه يبدو مميزاً بالنسبة لي ، هناك شعور روحي يدفعني للذهاب و إلقاء نظرة ..

ذهبتُ متمشياً حتى وصلتُ إليه ، نظرتُ لترابه و على ما يبدو لم يُسقَ منذ زمن .. لا بد أن صاحبه حزين على نسيان البشر له ..

رفعتُ نظري قليلاً لأرى اسمه .. و .. تحوَّلَت ملامحي إلى الرعب .. لم أستطع الحراك و لم تعد ساقيّ تحملانني .. لقـ.. لقد كان مكتوبٌ اسمي على الشاهد الحجري !!!!!

و مكتوب تاريخ الوفاة في 2017 !! لم أفهم.. أعدتُ قراءة الاسم مراراً و تكراراً لعل هناك فارق بسيط يخبرني أن هذا القبر لا يحمل اسمي .. لكنه أنا .. اسمي أنا دون أيّ نقطة زائدة واحدة !

هربتُ .. ركضتُ .. تعثَّرتُ و وقعتُ و نهضت .. أُصبتُ بصدمة مخيفة بعيدة عن الواقع و من ثم عدتُ للبيت و أقفلت الباب ورائي .. جلستُ عند الباب أحاول استيعاب ما حدث .. هل كان حلماً ؟ خيالاً ؟ أم هو واقع !

أنا لا أفهم ما يجري .. كيف يمكن وجود قبر باسمي و أنا أصلاً على قيد الحياة ! هل يعقل وجود شخص يحمل ذات اسمي ؟ أنا حقاً مشوَّش

لم يخطر في بالي شيء سوى الاتصال بصديقي نديم ..

هو الوحيد الذي يفهمني و يسمعني .. حدّثتُه بالأمر و قال أنه سيأتي في الغد ..

لم أستطع احتمال فكرة كهذه .. قبر باسمي ؟؟ لماذا !! هل هناك مَن يصنعون له قبراً قبل وفاته ؟ نعم هذا موجود لكن يوصي به المتوفى .. ثم إني لا أعرف أحداً سوى نديم .. مَن يا ترى قد يفعلها

عليّ أن أعرف بنفسي السر .. خرجتُ من المنزل و عدتُ للمقبرة و توجهتُ لقبري . تفحّصتُه عن قرب .. و قرأتُ الاسم عشرات المرّات ..

عدتُ و بحثتُ على الانترنت كثيراً عن شخص يحمل اسمي و لكني لم أجد .. هناك تشابه و ليس تطابق

هل من المعقول أن صاحب القبر اسمه يشبه اسمي و لكن حدث خطأ أثناء كتابة الاسم ؟ لربما تحدث أمور كهذه .. على سبيل المثال يكون اسم المتوفى " رامي عبد العزيز " ليحدث خطأ و يُكتَب على الشاهد " سامي عبد العزيز " .. تحليل منطقي

أو أنه مجرد مقلب سخيف من صديقي نديم .. ربما لأني مزحتُ معه كثيراً في الفترة الأخيرة .. مع أنَّ دعاباتي لم تكن سوى : أتعلم ؟ بينما كنت أشتري بعض الجبنة من دكان العم صالح جاءتني شابة حسناء و قد سألَت عنك و أعطيتُها عنوانك .. أو مثلاً .. بينما كنتُ أصلحُ دراجتي النارية في إحدى محلات الميكانيك سمعتُ سيداً عجوزاً يرتدي بدلة رسمية مع سيارة سوداء لم أرى مثلها و قد غطّى الشيب شعره .. سمعتُه يسأل عن شاب جدير بالثقة ليزوّجه ابنته و قد ذُكر اسمك .

كنتُ أستمتع و أنا أراه يقفز من مكانه و يبدأ بإلقاء الأسئلة : ماذا قال بالحرف ؟ كيف كان شكله ؟ هل هو غنيّ ؟ مليونير ؟

هل يبدو عليه الوسامة .. إذا قلتَ نعم فبالتأكيد ابنته تشببه .. لقد ابتسمَت الحياة لي .

و من ثم يدعوني للغداء على حسابه.. خدعة بسيطة مع نتيجة شهيّة اقتصادية .. فهل يمكن لمثل هذه المزحات الصغيرة أن تدفعه ليحفر لي قبراً و يكتب اسمي عليه ؟ لا .. لا أعتقد .

لا يمكن ذلك

* * *

لم أنم ليلاً .. بقيتُ أفكر و أفكر .. هل يعقل أني في جهنم مثلاً ؟ أو أني أحلم ؟ ربما أكون في حلم أو كابوس طويل واقعي .. أو ربما أني في بعدٍ آخر .. أو أني سافرت عبر الزمن

شاهدتُ سابقاً الكثير من الأفلام التي يلتقي فيها الأبطال بأنفسهم حين يسافرون إلى بُعدٍ آخر أو يسافرون عبر الزمن ..

بالتأكيد هناك أمور في عالمنا لا نعلم ماهيتها و لا كيفية حدوثها مثلاً ما سرّ دوائر المحاصيل التي أُطلقَت عليها الكثير من الخرافات و النظريات غير المقنعة أو استخدمَت دليلاً على وجود الفضائيين .. أو مثلاً الضوء الأزرق الغامض الذي

يظهر قبل كل زلزال مدمّر .. و الذي قاموا بنسبه لمشروع هارب (haarp) ..

هناك الكثير من النظريات عن الزلازل لكن هناك واحدة جذبَت انتباهي .

و هي قصة العظيم نيكولا تسلا مع آلة تصنع ترددات قوية ينتج عنها زلازل مدمرة

و التي قام بتحطيمها بعد أن نجح بصنعها خوفاً من سرقتها من قبل المنظمات السرية (تلك التي في بالك) و استعمالها ضد البشر و صنع كوارث طبيعية

كما أنني سمعتُ قصة أخرى عن صنعه آلة تولّد موجات متضخمة تتحول إلى فيضانات .. و هنا وضعتُ نظريتي الخاصة : ربما قاموا بسرقة مخططات الآلات و عرفوا كيفية صنعها و راحوا يولّدون زلازلاً و فيضانات لأهداف عديدة ..

لا نعلم السر لكن بالتأكيد هنالك أمور لا نعلم عنها شيئاً

و (إن) علمنا فلن نصدق من غرابتها

تقلّبتُ طوال الليل حتى الصباح .. لم أنم و لم أغمض عيني ثانية واحدة .. ماذا إن نمتُ و لم أستيقظ ؟ ماذا إن علقتُ في الظلام الأبدي ؟

بقيَت هواجسي هذه تسايرني حتى سمعتُ طرقاً على الباب .. هرعتُ إليه و قد فتحتُه لأجد نديم

- ادخل بسرعة

جلس على الأريكة و نظر إليّ مطوّلاً و قد رآني بشعري المنكوش و بمنظري الأقرب للجنون و الحدائق السوداء التي نمَت أسفل عينيّ ..

قلتُ له بتوتر و هلع بينما أجول في الغرفة جيئة و ذهاباً :

أنا حقاً أكاد أجنّ .. لم أجد تفسيراً واحداً لمَ شاهدتُه ، لا أدري ربما تشابه بين اسمي و اسمه لدرجة التطابق أو أن لي قريباً من عائلتي يحمل ذات اسمي لا أعرف عنه شيئاً

أتعلم هذا احتمال كبير و منطقي .. بالفعل إنه منطقي ، ربما قريب لم أدري بوجوده و لم يدري بوجودي _ و رحتُ أهمس مردّداً بهوس _ منطقي جداً .. منطقي جداً .. منطقي جداً .

نطق نديم بهدوء أخيراً بعد أن سكتُ : إلى متى ستبقى على هذا الحال

قلتُ و قد نظرتُ إليه بعينين حمراوين : لا أدري .. أمر هذا القبر استحوذ على تفكيري بأكمله

- لا .. أنا أقصد إلى متى ستتمسّك بالحياة ؟

حدّقتُ به طويلاً و ساد صمت قاتل فقلتُ : لم أفهم .. ما قصدك؟

نهضَ واقفاً و أجاب زافراً : آهٍ منك آه .. لقد نسيتَ مرة أخرى .. اسمعني يا أيها المحبّ للحياة .. أنتَ ميّت منذ ثلاث سنوات و قد فارقتَ الحياة بحادث سير

لكنك لم تتقبل الأمر بسبب عشقك و هوسك بالحياة و فكرة الأبدية و الخلود .. لهذا لا يردّ أحدٌ عليك و لا يجيبك بتحية

لأنهم لا يروك أصلاً .. أما أنا فإني أحدّثك و أراك لأني وعيك .. أنا وعيك قد شكّلتني في خيالك و جعلتني على شكل صديق أسميته نديم .. أنا وهمٌ من صنعك أنت .. تقبّل الحقيقة أنت لستَ موجوداً .

حينها شعرتُ .. أحسستُ بذلك الشعور .. بتلك الرعشة .. أنا لا شيء .. لقد فهمتُ الآن و أحسستُ .. لا وجود لي .. لستُ هنا الآن و لا يُفترَض بي أن أكون .. أنا وهم ، ميّت و منسيّ لا يدري أحدٌ بي .

تـمَّـت

ضائع في اللامكان

كان البروفيسور يشرح جزئية فيزيائية لم أفهم منها حرفاً .. نظرتُ حولي لأرى الجميع يحدّقون به ببصر مشدوه يتابعونه بأعينهم .. على ما يبدو أني الوحيد في القاعة الذي لم أفهم المحاضرة

رحتُّ أحاول التركيز في كل كلمة ينطق بها .. و يا لأسفي كانت محاولة تعيسة باءت بالفشل .. كنتُ أسمع :

- مثلاً لدينا هنا القانون الرئيس .. فإن كانت B تماثل A فهذا يدل على أننا نستطيع استعمال قانون الطاقة المترددة و التي منها نحسب E فنجد لكل موجة 72.287 درجة من الانتشار و هذا يدلّنا على كون التيار الموجي غير ثابت السعة الاستيعابية للمكان المفروض .. ما يمكّننا من تحديد متوسط المحيط الخاص و منه نستخرج قانوناً جديداً يقودنا للحجم ... الخ

كلام .. كلام .. كلام ، لا أفهم شيئاً و أشعر أنّي في دوامات فيزيائية و أخاف أن يشعر البروفيسور بذلك ليبدأ بحساب سرعة الدوامة و محيطها ..

انصرف الطلاب أخيراً و خرجتُ لأشمّ الهواء الطلق بعيداً عن الفيزياء المملّة

نظرتُ إلى السماء حيث كان الجوُّ جميلاً مشمساً بنسمات صيفية منعشة .. أمام الجامعة الكثير من الشجيرات الخضراء و أحواض الزهور الأمر الذي أحبّه في هذا المكان

توجهتُ نحو سيارتي السوداء التي لا أعرف اسمها فإني لأنسى هذه التفاصيل بسرعة خارقة .. كانت رائحتها غريبة بعض الشيء و حارّة جداً بسبب شعاع الشمس الذي بقي مسلّطاً عليها لساعات هنا .. فلم أجد موقفاً جيداً غير مشغول بسيارة أحد الطلاب

أنزلتُ زجاج النوافذ لتعديل جوّ هذا المكان ، و كدتُ أن أنطلق لولا أن صادفني صديقيَّ رامي و سامي .. لا أدري لمَ أذكر (زينغو و رينغو) عندما أراهما

المهم أنهما ركبا معي بعد أن تحادثنا و اتفقنا على رحلة للتخييم في صحراء الربع الخالي و بما أن فكرة الرحلة قد وُلدَت حديثاً فكنّا نمرّ على بيوتنا واحد تلو الآخر لجلب اللوازم و من ثم إلى المتاجر لشراء الحاجيات .. حتى أصبحنا الآن على الطريق الصحراوي و الذي نقود عليه منذ ساعة تقريباً ..

هبط المساء علينا و هذا لأننا تأخرنا في التحضير للرحلة .. كان رامي مَن يقود و بجانبه سامي أما أنا فكنت في المقعد الخلفي .. و قد أعطيتُ رامي المقود لأنني لم أرد أن أتعب نفسي بعناء القيادة

كان الطريق مظلماً لا ينيره سوى ضوء سيارتنا .. البدر كان مكتملاً تلك الليلة و السماء مزدحمة النجوم .. كنتُ قد بدأتُ أشعر بالنعاس و قد نام سامي ، قلتُ لرامي و أنا أتثاءب :

" خذ استراحة و أوقف السيارة على جانب الطريق و خذ غفوة .. في الصباح يمكننا أن نكمل " لكنه رفض قائلاً :

" لا تقلق أنت .. نم يا عمر و دع الباقي عليّ "

لم ألحَّ عليه و غرقتُ في نوم عميق .. بعد ما يقارب النصف ساعة كان رامي قد داهمه النعاس و راحَت أجفانه تغطي عينيه و تكشفها مراراً .. لكنه قاوم و استمرّ بالقيادة مبقياً عينيه على الطريق .. إلى أن خرج حيوان لم يلحظه في طريقه و اضطرّ لضغط الفرامل على وجه السرعة ما أدى إلى إفقاده السيطرة على المقود و تغيّر مسار السيارة إلى سهل قاسي

فقُلبَت السيارة و تدحرجَت ..

فتحتُ عينيّ بصعوبة و أنا أرى شعاع الشمس يسطع على الرمال .. نظرتُ حولي لأجدني في سيارتي المقلوبة رأساً على عقب .. محطّمة الزجاج و الهيكل .. أما بالنسبة لصديقيّ فكانا على ما يبدو ينزفان طوال الليل حتى ماتا كلاهما .. حزنتُ كثيراً عليهما و لم أتقبل الحادث و لكني لسوء حظي لم أذرف دمعة واحدة حتى سمعتُ صوت أنفاس خلفي ..

و ما أن التفتُ حتى وجدتُ ضبعاً كبيراً بالنسبة لذويه يناظرني و يتجهزّ لوجبة الفطور .. جريتُ بسرعة نزولاً متعثراً من شدة الخوف حتى تدحرجتُ و سقطتُ عبر حفرة شبه دائرية داخل وادي عميق يتصل بسلسلة كهوف لم أسمع من قبل بوجودها هنا

شعرتُ بنفسي أصطدم بصخور كبيرة و أتدحرج نزولاً على حائط مائل ميلاناً قاسياً .. سقطتُ أخيراً على ركبتي ما جرحها جرحاً بالغاً .. لكني مع الأسف لم أجد ما أضمّدها به

تلفتُّ حولي لأرى نفسي قد علقتُ داخل كهف ضخم معتم و خفيف النور .. كان يدخله نور شحيح من الحفرة التي وقعتُ منها و التي كنت أراها فوقي تبعد عنّي ما يزيد عن 300 متر .. فتحتُ فمي مفزوعاً : هل سقطتُ من هناك ؟ كيف لم أمت !!

و عندما تفحّصتُ الجدار وجدتُ أني سقطتُ على العديد من الصخور الكبيرة على حائط مائل ما خفّف من حدّة الصدمة

كان الكهف ضخماً بمعنى الكلمة و قد رأيتُه يمتدّ لأنفاق واسعة عميقة حالكة الظلمة .. سمعتُ صدى وقع قطرات ماء و غالب ظنّي تقتر من نوازل الكهف ، لم أدري كيف أخرج من هذه الورطة فتسلّق الجدار و العودة إلى الأعلى شبه مستحيل و أما هاتفي فقد كُسر تماماً جرّاء الوقوع .. لم يكن معي سوى ولّاعة في جيبي .. و ما كان أمامي سوى المشي في إحدى أنفاق الكهف لعلّي أصل لمخرج ما

أخرجتُ ولّاعتي و قد أشعلتُها متقدّماً نحو إحدى الأنفاق ، كان النفق يضيق شيئاً فشيئاً في كل خطوة أتقدَّمها حتى أصبح ضيقه ثابتاً بنحو متر و نصف عرضاً

مشيتُ كثيراً بقلب يحمل بصيص أمل صعب ، في الحقيقة تجربة الدخول إلى أعماق الكهوف لمخيفة جداً .. أنت لا تدري ما يمكن أن يخرج لك و لا تعرف ما يعيش هناك ..

ربما تجدّ ديناصوراً استطاع النجاة من كارثة النيزك و من ثم يلتهمك بشراهة .. وجبة الغداء جاءت على أقدامها ، و ربما تجد أحد قبائل الهنود الحمر مستقرّين أسفل الأرض ليقيّدوك

قرباناً لآلهتهم .. أو أن تجد جارتك ذات وجه الساحرة و الأنف الممطوط الكبير الذي تقيم عليه بثرة كبيرة لتكتشف أنها تعيش هناك .. و هذا مكان يليق بها إذ دائماً ما تساءلت كيف لمثل هذه أن تعيش في منزل عادي ..

مشيتُ قرابة النصف ساعة و أنا أحاول ضبط أعصابي بقدر ما أستطيع . كان التنفس قد بدأ يصبح صعباً لبُعدي عن منبع الهواء ، كدتُ أن أقع بحفرة قد قطعَت طريقي لولا أنني تمالكتُ توازني في آخر لحظة ..

كانت الحفرة حالكة الظلمة و تقطع الطريق بشكل كامل

فكّرتُ بالقفز من فوقها للجهة الأخرى .. لكن السقف كان منخفضاً بشكل كبير لدرجة لمس رأسي .. فلم يكن أمامي سوى محاولة التشبث بالحائط و أن أمشي على طرف الحفرة ملتصقاً كل الالتصاق بالجدار الذي سيكون خيط نجاتي و توازني الوحيد

كان على الحائط بعض البروزات الحجرية و التي ستساعدني بزيادة تشبّثي و ستعيقني أخرى أثناء تقدّمي

التصق وجهي و جسدي بالجدار و بدأتُ أتحركُ ببطء شديد .. كانت الحافة التي أضع عليها قدمي صغيرة جداً و أيّ خطأ سيودي بحياتي

حقاً إني لأستغرب من هاوي و محبي الكهوف و الأنفاق الأرضية .. يدخلون إليها ليرفعوا لديهم الأدرينالين و يعبرون أنفاقها واسعها و ضيّقها .. و يخرجون أحياء يُرزقون ..

أذكرُ قصة لمجموعة من المغامرين قد دخلوا إلى أحد الكهوف المليئة بالأنفاق الأرضية و قام أحدهم بدخول نفق ضاق به لدرجة أنه بدأ يزحف .. لم يستطع أن يستدير ليعود إلى الخلف فأكمل زحفه في النفق الذي كان ضيقاً بحيث لا يتّسع سوى لشخص واحد ..

كانت فكرته أن ينتهي هذا النفق بمساحة كهفية يستطيع أن يستدير فيها و يعود أدراجه زحفاً .. لكن و لسوء حظه تصادف بنفق آخر يتوسط طريقه و قد جرّه هذا النفق إليه و الذي كان يقود نزولاً .. حاول أن يستمر بالزحف لكن النفق ضيّق ضيقاً خانقاً يمنعه من تحريك أطرافه و التقدّم نحو الأمام لذا ما كان أمامه سوى أن يعود أدراجه .. و هنا المفاجأة **!!**

لم يستطع أن يستدير إطلاقاً .. كان النفق مائلاً بحيث أن ساقيه كانت تعلو رأسه ارتفاعاً .. أيّ أن جسده كان رأساً على عقب بوضعية مائلة

حاول تحريك نفسه بكل قوته لكن النفق كان يعتصر جسده من ضيقه .. نادى على أصحابه الذين حاولوا إخراجه دون جدوى .. ما دفعهم لاستدعاء الشرطة و فرقة حالات الطوارئ .. و قد حاولوا سحبه بحبل مربوط بساقيه متصل بآلة .. لكن النفق كان قد ضاق بشكل أكبر من ذي قبل

خافت الشرطة من زيادة قوة سحب الآلة فيتمزّق جسده .. لذا وجدوا حلّاً جريئاً لن يخطر على بالك .. و هو إغلاق الكهف نهائياً و سدّه و وضع أمامه شاهدة قبر تحمل اسم صاحبنا الذي بقيَ في الداخل.. ليتركوه هناك يموت ببطء و يصبح ذاك الكهف هو قبره

إني لأعترف بكوني أكره الأماكن الضيّقة كرهاً قاتلاً .. لدي فوبيا الأماكن الضيّقة و هو الأمر الذي أخافه كثيراً .. أن أعلق كصاحب القصة بتلك الوضعية المرعبة و أن أُترَك هناك لأموت ميتةً بطيئة . على الأقل احقنوه بإبرة تقتله .. أليس هذا ما يسمّى عندهم بـ(الموت الرحيم) ؟

أيّ يحقنون طفلاً مصاباً بسرطان قاتل أو مريضاً بمرض لا علاج له بإبرة قاتلة ليموت بهدوء و سلام .

بينما كدتُ أجتازُ الحفرة وضعتُ قدمي على صخرة لم تتحمل ثقلي و وقعَت بعد أن فقدتُ توازني لأقع معها ..

حاولت التمسك بالحافة أو بأيّ شيء لكنّي لم أفلح .. كنتُ أسقط في نفق كبير مظلم فوق التصور و طويل على ما يبدو أكثر من العادة .. لم أعد أرى الحفرة التي وقعتُ منها و لم يعد هناك أيّ أمل سوى الموت .. تحسَّرتُ على نفسي و على هلاكي بهذه الطريقة

حلمتُ بأحلام لن تتحقق و لم تعطني الحياة فرصة للمحاولة .. ربما كنتُ سأصبح رجل أعمال مهم (و هذا على الأغلب ما يظنّه أكثر مَن في جيلي) لكن لا يدرون أن للموت رأيّ آخر .. قدَر مختلف و مصير حتمي لا منفذ منه .. هذه النهاية .. في حفرة تتوسط نفقاً عميقاً داخل كهف ضخم مليء بالأنفاق لا يدري أحد بوجوده .. سأموت هنا و تتحلّل جثتي و أصبح عظاماً و هم يبحثون عنّي في الخارج .. لكن لا أثر لي .. سيجدون سيارتي المحطمة و المقلوبة و صديقيّ الأموات

داخلها .. و يبدؤون بالرجم غيباً و إطلاق النظريات .. منهم مَن سيعدّني القاتل و منهم مَن سيفترض أنّي مشيتُ مبتعداً عن السيارة باحثاً عن المساعدة ليفترسني أحد الحيوانات أو يختطفني تاجري الأعضاء .. منهم مَن سيسرح بخياله ليفترض اختطافي من قبل الفضائيين أو أن الحفرة التي سيرونها أسفل السهل بجانب السيارة خرجت منها كائنات جوف الارض أو كما يطلق عليهم " الرماديون " و أخذوني معهم .. ربما لن يكتشف أحد جثتي إلى قرن أو قرنين أو ألف سنة .. ليعلنوا عن: اكتشاف هيكل عظمي يعود لألف سنة لرجل من القرن الحادي و العشرين .. اكتشاف عظيم بالطبع . و يبدؤون بدراسة هيكلي و الفروقات التي بيننا و بينهم .. و ربما لن يكتشف أحد جثتي إلى يوم يُبعثون

كنتُ لا أزال أسقط و الظلام مستمر بسوداوية مجهولة مقلقة إلى أن شعرتُ بشيء غريب .. كأن هناك قوى ما تلمس جسدي حتى بدأتْ تزاد رويداً رويداً و ثم !!

رأيتُ نفسي أتابع سقوطي داخل ثقب دودي تحوّلت جدرانه لفضاء كوني تتسارع النجوم فيه ..

سرعتي كانت رهيبة أرى جدران فضائية تتسارع من حولي .. أكاد لا أفهم شيئاً .. ما هذا ؟

تسارعَ سقوطي بشكل مخيف حتى بدأتُ أشعر بجسدي يكاد يتمزّق إلى أن انتهيتُ برؤيتي ضوءاً أخضراً مشعّاً نوراً قوياً و قد عبرتُ إلى داخله .. حتى أفلام الخيال العلمي لم تقدّم شيئاً كهذا و لم تتكلم عنه قبلاً .. أيعقل وجود ثقب أسود داخل كهف؟ كم سيضحك علينا علماء الفلك لو سمعوا بهذا .. لكنه حقاً اكتشاف عظيم .. ثقوب سوداء في جوف الأرض

على قدر ما سمعت أن الثقوب السوداء تحلّل و تفكّك كل ما يدخلها .. إن كان هذا القول صحيحاً فهذا يعني أنني سأشهد تفكّك جسدي و تمزّقه إلى أشلاء .. رائع .. اليوم يوم الحزازير: يا ترى كيف سأموت ؟ و بأيّ لون من ألوان العذاب ؟

فتحتُ عينيّ بصعوبة .. كنتُ فاقداً للوعي على ما أظن .. لم أدرك بعد شيئاً فالظلام يعانق بصري من كل الاتجاهات .. لا أدري أين أنا لكنّي تلمّستُ الأرض فإذ بها مليئة بالانحناءات صغيرة و كبيرة

كان جسدي متعباً و بالكاد يستطيع النهوض .. وقفتُ و من ثم بحثتُ في جيبي عن ولّاعتي و لسوء حظي لم أجدها ..

فقدتُ مصدر ضوئي الوحيد ، لا أدري أين أنا . فلا أرى إطلاقاً

ربما سقطتُ في كهف آخر متصل بالحفرة .. هذا أقرب احتمال للواقع و لم يكن أمامي كما تعلم إلّا أن أتابع ما بدأتُه فلا سبيل للتراجع

رحتُ أمشي ببطء لعلّي أرى بصيص ضوء يدلّني على مخرج .. حقاً بدأتُ أتساءل عن نهاية يومي هذا .. هل ستغرب الشمس لأكون جثة هامدة أم أن الروح ستكون مازالت تعانق الجسد .. لا أحد يعلم ..

مشيتُ كثيراً و تعثّرتُ كثيراً .. هذا المكان فيه الكثير من الانحناءات و السهول و كل خوفي الآن هو أن أقع للمرة الألف بوادٍ آخر .. لأصبح داخل وادي في كهف أسفل حفرة داخل نفق داخل كهف ..

و هنا نستطيع أن نجزم على استحالة إيجادي من أيّ مخلوق لو حتى ذبابة ... و لو بعد آلاف السنين .. بل إن يوم الدين حين يُحييني الله لحسابي ربما سأضيع مرة أخرى بحثاً عن مخرج

ما يستوجب تدخّلاً إلهياً يمهّد لي منفذاً من هذا المأزق .. بعد أن تقدّمت لساعة من الزمن فكّرتُ بضخامة هذا المكان .. لم أصطدم بجدار واحد حتى الآن

هل سأضيع هنا إلى الأبد ؟ جاءتني إجابة السؤال مباشرة حين رأيت منزلاً خشبياً في سهل أمامي ..

قفزتُ فرحاً لأن الأمل قد تجلّى و ابتسم من جديد ، ركضتُ باتجاهه نزولاً حتى أصبحتُ أمامه .. كان منزلاً عتيقاً جداً من الخشب لكن الأمر الغريب هو أن النور الذي ينبعث منه كان أخضراً .. كانت هناك شعلة خضراء موضوعة على الحائط بقرب الباب .. نار خضراء ؟؟ لم أسمع بها في حياتي ..

تقدّمتُ و طرقتُ الباب .. لم يفتح أحد ، دفعتُه بهدوء إذ كان مفتوحاً من الأساس . دلفتُ المنزل إلى غرفة المعيشة و التي كانت تحوي طقماً من الأرائك .. بعض رؤوس الجواميس المحنّطة معلّقة على الحائط .. الغرفة مظلمة بعض الشيء ما عدا موقد في المنتصف يشتعل بنار خضراء تبعث نورها في

الغرفة .. لحظتُ رجلاً عجوزاً على ما بدر في ذهني يجلس على كرسي هزّاز معطياً ظهره لي ، تكلّمتُ منادياً :

" يا عم " و لكنه لم يبدِ أدنى ردة فعل .. اقتربتُ قليلاً و وضعتُ يدي على كتفه : مرحباً

نطق بهدوء و هو يستمر بهزّ نفسه : ماذا تريد

- أ.. أنا في الحقيقة أبحث عن مخرج من هذا الكهف لكنّي لم أفلح

ساد صمت قاتل و من ثم تكلّم قائلاً : تعال و قف أمامي أيها الشاب

نفّذتُ أمره و قد رأيتُه رجلاً مسنّاً في نحو الستين من العمر بملامح متعبة .. له لحية بيضاء لا بأس بها تشبه لحية جورج برنارد شو مع شعر خفيف يغطّي رأسه و قد كساه الشيب .. يبدو عليه الوقار حقاً و الحكمة : هل قلتَ أنك تبحث عن مخرج للكهف ؟

- نعم هذا ما قلتُه .. لقد تهتُ داخل أنفاق عدّة حتى وصلتُ لهذا الكهف العملاق

أخرج تبغ الغليون و أخذ ينفث الدخان : أيها الشاب .. يؤسفني أن أخبرك أنك لست في كهف ولا في نفق

نظرتُ إليه و لم أفهم .. أومأتُ برأسي بإشارة استفهامية فتابع قائلاً : أنت في اللامكان

- اللامكان ؟؟
- أتساءلتَ أين تختفي أغراضك الضائعة منذ زمن ؟ .. أو أين تذهب أرواح الأموات بعد التحلّل ؟ .. إلى أين تذهب الذكريات بعد تلاشيها من رأسك ؟ .. و ماذا يحصل للبيوت القديمة الرثّة التي هجرها أهلها و لا علم لأحد بها .. إن كنتَ لا تدري فأهلاً بك في عالمك الجديد و بفهم جديد لقوانين الحياة و الفيزياء .. أهلاً بك في " اللامكان "

- أنا حقاً لا أفهم .. اشرح لي بوضوح أرجوك

- حسناً سأبسّط الأمر عليك .. كما أن هنالك (مكان) فهنالك (لامكان) .. المكان و الذي هو عالمك الطبيعي و الذي يضمّ البشر الأحياء و كل ما هو موجود و مذكور و لم يُنسى أو يُدمّر .. على سبيل المثال : عندما تهدم منزلاً فإنه يختفي من المكان و ينتقل تلقائياً إلى اللامكان ..

كذلك الأمر ذاته عندما تهجر منزلاً لقرون .. و عندما تضيع أشياءك و تنساها أو تُدمّر بطريقة ما فإنها تختفي من المكان ليستقبلها اللامكان .. حتى ذكرياتك التي تنساها و تتلاشى من ذاكرتك تصبُّ في اللامكان .. هذا العالم مليء بذكريات أناس مفقودة و أغراض أناس منسية .. أما الجانب المخيف فهو أرواح الموتى

- أرواح الموتى ؟

- نعم .. فعندما يموت الإنسان و تتحلّل جثّته فإن روحه تغادر القبر و تنتقل لعالمها السفلي (اللامكان) حيث تستقرّ الروح هنا و تبقى في تِيه و ضياع طويل يمتدّ ليوم الدين .. هناك مخلوقات هنا لا تجدها في عالمك .. هذه المخلوقات تسمّى بالسانتي .. هي وحوش تأسر الأرواح الضائعة و تعذبها و الروح التي تقع بين يديها غالباً ما تبقى مسجونة لقرون طويلة في ظمأ و جوع قاتل لا يُنتهي

قلتُ بخوف يسري في عروقي :

- أكاد أجنّ حقاً .. هل تمزح معي أم أنني في مكان لا ينبغي التواجد فيه

- لا يا بنيّ .. أنا لا أمزح معك ، فأنا عالقٌ هنا منذ عشرين سنة .. دخلتُ في غيبوبة في المستشفى جرّاء ضربة على الرأس لأجد نفسي وسط عالم آخر منسيّ .. لستُ ميتاً و لكن فاقداً للوعي لا أكثر
- تكفيني هذه الصدمات الآن .. السؤال الأهم :
كيف سنخرج ؟
- أخبرتك أني هنا منذ عشرين سنة .. و لكن هناك طريقة واحدة لم أستطع بسبب كِبر سنّي تجربتَها
- حسناً قل بسرعة .. لا أريد أن أبقى في هذا المكان ساعة واحدة

- ليست سهلة كما تظن : عليك أن تحصل على الجوهرة الخضراء و لن تجدها سوى في وادي العذاب .. و من ثم أن تواجه الحارس كراسوا العظيم على الحافة و أن تقوم بقتله .. هنا فقط في هذه اللحظة تستطيع أن تخرج

- عفواً ؟ .. لم أفهم شيئاً ، هل تستطيع أن تشرح لي بعمق ؟

- حسناً .. حسناً .. في البداية : الجوهرة الخضراء هي جوهرة مصنوعة من مادة روحية لا يُعلم كيف وُجدَت .. موجودة في وادٍ يسمّى بوادي العذاب .. هذا الوادي لا يمكن الولوج إليه إلا عن طريق حفرة موجودة أسفل قلعة ڤينوس .. الحفرة مغطاة بصخرة كبيرة لتمنع خروج الأرواح التي في الداخل .. ففي الوادي تُعذَّب الأرواح التي تمسكها كائنات السانتي .. و ما أن تُزاح الصخرة حتى تتدفّق أمواج من الأرواح .. و أما بالنسبة للحارس كراسوا العظيم .. فهو أعظم حارس في اللامكان .. مخلوق عظيم بقوة هائلة .. ينام بسبات دائم لا يصحو سوى عند وجود خطر يهدّد هذا العالم .. أو دخيل يحاول خرق القوانين و الخروج .. هذا الوحش الضخم يغطّ في نوم عميق منذ ما يقارب الألفيّ سنة

كنتُ أرتجف و أنا أسمع كلماته .. كيف لي أن أفعل كل هذا .. كيف سأصل إلى تلك القلعة و أزيح الصخرة و من ثم أرمي بنفسي إلى العذاب لأجلب الجوهرة و أذهب لأقوى كائن في هذا العالم و أتقاتل معه .. هل أنا مجنون !!

مع كل ذلك الخطر كان لدي جانب يميل إلى المحاولة .. فليس من المعقول أن أعيش هنا ما بقيَ من عمري !! ما دفعني لطلب تفاصيل أكثر دقّة عن الأمر .. و قد أخبرني العجوز بكونه قد نسيَ مكان القلعة فلم يرها منذ سنوات عديدة .. و حينما سألتُه عن الحل اقترح عليّ البحث عنها

- أبحث عنها ؟ في هذا العالم العملاق مع تلك المخلوقات الشريرة ؟ و الأجمل من هذا أنني سأبحث عنها مشياً على الأقدام .. هل سألقي بنفسي إلى التهلكة ؟ لن أجدها بسنوات
- انتظر .. بالنسبة لجزئية المشي فأنت لن تمشي خطوة واحدة

صحتُ متعجباً : و كيف ذلك ؟

- أنسيت أننا في عالم تنتقل إليه المنسيات .. لقد احتفظتُ بسيارة من طراز قديم جداً وجدتُها منذ سبع سنوات

- و أنّى لنا الوقود ؟

- لا تقلق لأمر الوقود فالعديد من محطّات البترول القديمة تتناثر على مساحات متفرقة من هذا المكان

- تقصد من هذا اللامكان

- نعم نعم .. المهم أنك تستطيع التنقل بسهولة

- حسناً إذاً .. عليّ أن أنطلق الآن

كدتُ أن أستدير لولا أنه قال : سأذهب معك

نظرتُ إليه و أردفَ : لم يعد لي شيء أخسره .. كنت أخشى على عمري لكن ها قد أصبحتُ في نهايته .. عليّ أن أستيقظ من هذه الغيبوبة فقد حان وقتي

ابتسمتُ له و أومأتُ برأسي .. هيّا بنا

أغلقتُ باب السيارة و استلمتُ مقود القيادة .. كان ظاهر السيارة يعود لإحدى الحروب العالمية .. لونها أخضر غامق يكاد لا يُميّز جرّاء آثار الزمان عليه ، فيها مكان لأربعة أشخاص

صعد العجوز بجانبي و قال : هيّا .. انطلق

- إنها لا تعمل

- من غير الطبيعي أن تعمل مباشرة .. إنها سيارة قديمة لإضافة إلى كونها لم تعمل منذ سنوات
- حسناً سأحاول مرة أخرى

و بعد عدة محاولات نجحتُ في تشغيلها و قدتُ منطلقاً ..

كنتُ أبحث عن شيء لا أعرف مكانه بمعنى آخر ليس لدينا طريق محدّد علينا أن نسلكه ، هذا رائع .. حقاً رائع

لم أمت و لم أعلق في حفرة و لم أنزف فاقداً وعيي و لم أسقط سقطةً قاتلة و لم يفترسني حيوان بل خالفتُ كل التوقعات و انتقلتُ لعالم آخر خاص بالموتى تسوده مخلوقات شريرة تخيفني طوال الوقت و عليّ الآن أن أبدأ مغامرة لا أعرف منتهاها

لكني سأقاتل أعظم مخلوق في هذا البُعد لكي أخرج من هنا .. و معي رجل مسنّ عالق هنا منذ عقدين .. أقود سيارة تعود للحرب العالمية الثانية ، جميل جميل .. ماذا بعد يا ترى ؟

لم أكمل جملتي حتى سمعتُ صوت صرخة أنثوية .. كانت هناك فتاة أراها من بعيد تصرخ بهلع متجهة نحونا .. أوقفتُ السيارة و قلت لها : ماذا يحدث ؟

صعدَت السيارة دون مقدمات و صرخَت : انطلق

- لكن قولي ما ...

قاطعتني و هي تنظر بجانبها : انطللللق

عندما التفتُ رأيت مخلوقات مرعبة .. بقرون طويلة معقوفة .. كانت أجسادها تضيء و تشعّ ضوءاً أخضراً متوهّجاً .. لم أرى ببشاعتها من قبل إلا في الأفلام

كائنات السانتي

انطلقتُ أقود السيارة بأقصى سرعة موجودة فيها .. صاح العجوز : إنها لا تزال تطاردنا

قلتُ متوتراً : ما العمل ؟

نظرَ حولنا و من ثم صاح بسرعة مشيراً إلى الجانب : التف حول هذا الجبل لعلّهم يضيعوننا

استدرتُ بالمقود بقسوة ما جعل السيارة تميل قليلاً و من ثم تعود لوضعها الطبيعي

قال العجوز ملتفتاً : لقد أضاعونا

قلتُ بسعادة : هذا جيد

صاحت الفتاة : إنهم أمامـ

قفزت على سقف السيارة إحداها و بدأتْ تدخل مخالبها في السقف .. كاد رأسي أن يصبح مثل المصاصة .. رأسي هو الكرة و العود هو مخلب هذا الوحش لولا أن أبعدتُ رأسي في الثواني الأخيرة

صرختُ و أنا أحاول إمالة السيارة لإسقاط ذلك المخلوق من فوقنا : أيها العجوز

- نعم
- سأسألك .. ماذا لو رمَى هذا المخلوق إحدانا بوادي العذاب
- لن يصاب بأذى لكن الأرواح ستنهش لحمه

صرخَت الفتاة و التي أشعر أن لا دور لها في هذه القصة سوى الصراخ و العويل :

- انتبه أمامك !!

حينها ظهرَت في وجهنا ثلاثة من مخلوقات السانتي .. أدرتُ المقود بشكل عشوائي إلى أن مدّ الوحش فوقنا يده ليمسك بالعجوز و يسحبه إليه .

- لاا .. أيها البهائم

قفز الوحش و ركض مبتعداً عنّا بينما لحقَت به باقي صحبته ..

- ماذا تفعل
- سألحق به
- لكنك تعطيهم روحك بيديك !!
- لن أترك هذا العجوز أبداً .. عليه أن يحيى

زدتُ من سرعة السيارة إلى أقصى حد .. كانت السانتي سريعة جداً و قد اختفَت عن مجال رؤيتي ، لم يعد لي خيار سوى السير بذات الاتجاه الذي سارت منه ..

كان كل شيء مظلماً لولا ضوء سيارتنا .. هذا اللامكان أساسه هو الظلام .. طوال الطريق و أنا أمرُّ بأطياف ذكريات مشوّشة تعود لأشخاص قد نسوها ..

رأيتُ امرأة تخون زوجها .. و رجل يموت بطلق ناري .. امرأة عجوز تُقتَل .. جثة كلب صغير يدفنها طفل .. ذكريات مُفجعة لأصحابها و لكنهم " نسوها " أو أنهم ميّتون ..

الذكريات المؤلمة لا تُنسى بل تبقى جزءاً متأصلاً من نفسك و روحك .. كذلك الذكريات الجميلة الثمينة و التي لا تخون ذاكرتك أبداً بالتلاشي .. هي داخلك دوماً

وصلتُ لقلعة كبيرة . بل هي ضخمة .. مبنية بحجارة شبه حمراء غامقة تنيرها بعض الشعلات الخضراء ، يبدو أن الضوء هنا لا لون له سوى الأخضر .. بوابتها حديدية مغلقة لا يمكن فتحها باليد لضخامتها .. قلتُ زافراً بقلّة حيلة :

- ما العمل الآن

ردَّت الفتاة : قلعة كهذه يستحيل عدم تواجد نفق سري يقودنا لداخلها

نظرتُ إليها مفكراً .. كلامها منطقي .. بالتأكيد هناك مدخل لا ندري بوجوده لكن أين من المفترض أن يتواجد ؟

- اصعدي السيارة

قلتُها و أنا أجلس أمام المقود .. رحتُ أقوم بجولة حولة القلعة متفحّصاً الجدران لعلّي أجد منفذاً إليها .. لم أجد شيئاً مثيراً للاهتمام

- كيف سنجد منفذاً سريّاً كهذا ؟ إن كان موجوداً طبعاً

قالت الفتاة مطرِقةً تفكر : عادة يتواجد باب خفيّ خلف شجيرات أو مرتفع صخري أو حتى كومة من الصخور

قلتُ بشرود و هدوء :

- انتظري .. كومة من الصخور

و من ثم صرختُ : نعم !! هذه هي . كومة الصخور !!

- أ .. أنا لم أفهم

- لقد مررنا منذ قليل بكومة عملاقة من الصخور .. لا بد من كونه هناك !!

عدتُ أدراجي للكومة و نزلتُ من السيارة متقدّماً نحوها .. مرّرتُ جسدي من بينها بصعوبة حتى وصلتُ لمساحة صغيرة .. تفحّصت التراب بيدي لألمس شيئاً صلباً .. أزلتُ التراب عنه فوجدتُ ما توقعتُه .. باب خشبي صغير يكفي لعبور شخص واحد .. نزعتُه بصعوبة و رميتُ بنفسي إلى النفق تاركاً الفتاة تنتظري في السيارة .. و التي علمتُ أن اسمها نادين

كان النفق ضيّقاً حالك الظلمة و طويلاً على ما يبدو .. سرتُ إلى أن وصلتُ لسلّم حديدي صدئ .. تسلّقته خارجاً إلى القلعة و قد كانت كبيرة فعلاً و احتمال ضياعي فيها هو ٥٦٧٧٥٤ بالمئة دون دليل أو خريطة

سمعتُ صوتاً يقترب نحوي لذا اختبأتُ وراء عامود دائري كبير .. مرّ اثنان من السانتي و على ما يبدو أنهما حارسين

لحقتُ بهما بخفّة إلى أن قاداني إلى قاعة كبيرة تحوي ما يقارب العشرين حارساً .. و على الحائط الذي يتوسط القاعة

جدار صخري كبير يرتفع و ينزل عبر يد صخرية موجودة على الجانب

أما الفسحة ما خلف الجدار فكانت تعجُّ بالناس و من بينهم العجوز .. إذاً هذا هو السجن .. لكن كيف سأواجه جميع هؤلاء الحرّاس .. لا بد من طريقة ما .. في هذه اللحظة تذكرت شيئاً قاله العجوز عندما كان يحدّثني عن هذه المخلوقات بكونها لا تحبُّ الضوء .. ليس الضوء الأخضر بل الضوء الطبيعي من عالمنا .. و هنا المصيبة " من عالمنا " .. بحق السماء كيف سأجلب ضوءاً من هناك

تفحّصتُ حقيبة أعطاني إياها سابقاً قائلاً : ربما ستحتاج المعدّات هذه

فتحتها و قد كانت تحوي أشياء لا علم لي بها و بعض أعواد الثقب و فانوساً و معدّات طبيّة .. أيّ واحد لو كان مكاني لراح يفحص الفانوس و هذا تماماً ما فعلته ..

أشعلتُ عود ثقاب و أشعلتُ به الفانوس و .. هووووب .. اشتعل بضوء طبيعي ناريّ شبه أحمر .. دوَت منّي صرخة مكتومة

و وضعتُ الحقيبة على ظهري ، لا بد أن الزجاج ذا الشكل الغريب المحيط بالشعلة النارية هو ما يبقيها طبيعية و يمنع

عنها الخضوع لقوانين اللامكان .. جريتُ باتجاه اليد الصخرية رافعاً الفانوس بيدي ما جعل جميع السانتي تبتعد عن طريقي متأذية

لأرفع اليد الصخرية و يرتفع الجدار الصخري ببطء ..

بدأ السجناء يخرجون هاربين .. و ركضتُ مساعداً العجوز

- لقد اشتقتُ لك أيها الأشيب

ضحك بينما كنّا نتعانق : شعور متبادل أيها الشاب

- علينا أن نسرع قبل مجيء باقي الحرّاس
- انتظر .. هذه قلعة ڤينوس

التفتُ حولي بدهشة : هل حقاً نحن الآن في قلعة ڤينوس !!

هذه أول مرة يقف الحظ فيها معنا

- دعنا نسرع للبحث عن وادي العذاب

جرينا مسرعين من ممر إلى آخر .. لا خريطة لدينا أيّ لا طريقاً محدّداً . وقف الحظ معنا مرة و لن يقف ثانية بل سيجلس هذه المرة على المدرّجات يشاهد ..

شعرنا بحركة غريبة فهرعنا خلف حائط صغير ليمرّ جمع غفير من الحرّاس متجهين إلى قاعة السجن

قال العجوز :

- لقد علموا بأمرنا
- نعم و سرعان ما سيبدأ بحثهم على مستوى القلعة بأكملها

نظرنا وراءنا لنرى باباً مفتوحاً .. قلتُ للعجوز : دعنا ندخل الغرفة لعلّنا نجد مخبئاً مؤقتاً .. فعدد الحراس كبير و بدأتْ حالة استنفار لديهم

وافقَني على الفكرة و جرينا دالفين الغرفة .. كانت غرفة متوسطة تحوي بعض الأثاث العفن الممزّق .. لا عجب أن الأثاث هنا بهذا القدر من القذارة فجميع ما في هذا العالم إما ممزّق و قديم و إما قذر تغطّيه طبقات سميكة من العفن .. كانت الرائحة التي تدخل أنوفنا لا نحسد عليها أبداً .. كرائحة حمامات المدارس الحكومية .. في الواقع عندما كنت لا أزال أدرس في هذه المدارس كان جحيماً بالنسبة لي الدخول لهذه الحمّامات .. لا أدري ماذا يفعل الطلاب حتى تغدو الرائحة على هذا القدر من الكراهة .. لا تحتاج للتغوّط لينتقض وضوؤك

فهنا يكفيك الدخول فقط و سينتقض وضوؤك لا محالة و يفسد صيامك أيضاً لو كنت صائماً .. عندما تخرج تحتاج للقفز في حوض سباحة ممتلئ بعطر فرنسي كي تزول منك الرائحة ..

تجوّلنا في الغرفة و نظرنا لمحتوياتها .. لم نجد شيئاً ذا فائدة و لا مكاناً نستطيع الاختباء فيه . كنتُ أمسك مرآة تبدو كأنها قد جاءت من قصر ملكي من فترة الستينات حين ناداني العجوز : وجدتُ صندوقاً

مشيت إليه و قد قام بفتحه ليُخرج ورقة رثّة قديمة متآكلة الأطراف .. مكتوبة بلغة لا أفهمها .. قلت له متحسّراً : يا لسوء حظنا العاثر

- إنها مكتوبة باللغة اللاتينية
- و مكتوبة بلغة ميّتة لا تستعمل أبداً .. هذا جيد جداً . نعم هو رائع
- أنا أفهم اللاتينية

التفتُ إليه مندهشاً : أحقاً ؟؟

- كان والدي عاشقاً للغات القديمة و ورثتُ هذا العشق عنه

- إذاً هيّا .. ابدأ بترجمتها
- هناك الكثير من الشرح عن اللامكان و لكن الأهم هو أن الورقة تقول : الطريقة الوحيدة لإضعاف الحارس كراسوا العظيم هي تقديم قربان له

- هل ذُكر شيء عن نوع القربان ؟

- لا .. ليس تماماً .. أيّ شيء حيّ

- علينا إذاً أن نأخذ إحدى السانتي كقربان .. سيَفي بالغرض

- نعم .. فكرة منطقية

سمعنا جلبة من الخارج .. صحتُ بالعجوز : إنهم قادمون !!

نهض واقفاً : ما العمل الآن .. فلا مهرب هنا

التفتُ مديراً رأسي بالغرفة .. نعم لا مهرب أبداً .. أجبتُ بحزم: سنقاتل

اقتحمَت علينا السانتي الغرفة و لم تتردد بالهجوم المباشر .. أخرجتُ فانوسي و أشهرتُه بوجههم فأشاحوا عيونهم متألمين ..

- الآن !!

خرج العجوز جرياً من الغرفة كدتُ أن ألحق به لولا أحد السانتي قد سحبني إليه و سدّد لي ضربة على الرأس

سقطتُ أرضاً و بدأتْ المخلوقات تضرب بي حتى شعرتُ بعظامي تهتز اهتزازاً مؤلماً .. كانت هذه الوحوش تجتمع حولي كاجتماع الذباب على جثة بقرة ميّتة

صحتُ متألماً لأرى العجوز يجري و بيده شيء يلوّح به .. ضرب به أحد السانتي و من ثم أمسك بيدي و جرّني إليه و رحنا نجري . قلتُ و أنا أركض بنفس مقطوع : بماذا ضربتَه ؟

أخرج مقلاة حديدية من وراء ظهره . كانت متكسّرة الجوانب و صدئة المعدن : هذه المقلاة

- مقلاة ؟ و أين وجدتها
- لا تستهن بها .. هذه مقلاة تعود لعهد نابليون و إني لأحبها حبّاً جعلني أحملها معي في كل مكان
- و أين تضعها ؟

رفع قميصه كاشفاً عن حزام جلديّ يلتفّ حول خصره : هنا .. حزام مخصّص لسيسي

- سيسي ؟
- هذا اسمها
- المقلاة!!
- نعم .. سيسي براسيسي

أنزلتُ رأسي هامساً بسخرية : سيسي براسيسي ..

إن هؤلاء العجائز لحقاً مسلّون .. فبعدما يجتاز الإنسان عمر الستين يصبح شيئاً فشيئاً محتاجاً لقطعة خردة يعشقها

كتلك الفتاة الليلية التي كان في شبابه ينتظرها بمجلّات مكتوب عليها (للكبار فقط) .. على سبيل المثال جدتّي كان لديها طقم فناجين محبوس في خزانة زجاجية لعقود .. لا يُسمح لمخلوق مهما كان كهنه أو مرتبة الشرف لديه في قلبها أن يمسّ هذه الفناجين أو يشرب بها .. هي فقط تحف ثمينة للمشاهدة و العرض .. كآثار المتاحف المحاطة بحاجز زجاجي و مكتوب على يمينها (ممنوع اللمس) .. فقط شاهد

هربنا نازلين درجات لم نجد سواها للهروب .. كانت لا تنتهي مهما نزلنا .. عليهم وضع لافتة كبيرة عليها إشارة اللانهاية لإعلام الزائر بما ينتظره ..

انتهى بنا المطاف لقاعة كهفية صغيرة بعض الشيء .. مع صخرة كبيرة تتوسطها .. قلتُ : لا بد لهم أن يتوقعوا اختباءنا بمثل هذا المكان

قال العجوز بنظر مشدوه للخلف : انظر .. إنها هي

لم أفهم في بادئ الأمر لكنّني التفتُ لأراه يناظر تلك الصخرة .. حينها : هل هذا ...

- نعم ..

تقدّمتُ إليها و قد لمستُها : سنحتاج جهداً كبيراً لإزاحتها

- لا بأس . نستطيع فعلها

وضعتُ كفّيّ عليها واقفاً بوضعية الاستعداد . أما العجوز فرغم كبر سنّه إلا أنه وقف مستعدّاً جانب النصف الآخر من الصخرة

- واحد .. اثنان .. ثلاثة

و بدأنا ندفع بكل قوتنا .. لم نستطع تحريكها سنتي واحد لكننا لم نستسلم : هيّا .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة

- لقد تحرّكت !! تحرّكت شيئاً بسيطاً

- ما زال الأمل موجوداً إذاً .. هيّا بنا

واحد ... اثنان .. ثلاثة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. واحد .. اثنان .. ثلاثة

لم يكن معنا ما نستطيع استخدامه لمساعدتنا لكن قوة أجسادنا لا بأس بها أمام هذه الصخرة

فجأة !! قوة حرارية رهيبة خرجَت من حفرة صغيرة استطعنا فتحها بصعوبة .. سقطنا أرضاً جرّاء اندفاع ضخم من أشباح خضراء سرعان ما فتّتت الصخرة لأشلاء .. اتجهَت هذه الأشياء مع صرخات كادَت أن تصمّ أذنيّ نحو الباب و خرجَت مسرعة .. كانت تخرج من الحفرة باستمرار . صاح العجوز :

- احمي أذنيك .. احمي أذنيك

كنت بالفعل أغطّيهما بكلتا يديّ لكنه لم يكن ينظر فقد أغمض عينيه و حمى وجهه إلى الأرض

بعد لحظات انتهَت أمواج هذه الأشياء و ساد الهدوء القاتل

نهضتُ أنفض عنّي الغبار و الأتربة : ما هذه الأشياء

- إنها الأرواح المعذّبة في الوادي
- أيّ أن وادي العذاب أمامنا الآن ؟

تقدّمنا نحو الحفرة لإلقاء نظرة فضولية .. كان منظراً مهيباً !! حفرة صغيرة كهذه تتصل بوادٍ عملاق عظيم العمق بنيران خضراء في كل مكان و طاقة خضراء متوهجة تخرج من جدران الوادي .

- كيف سأنزل للأسفل ؟
- لا تخف .. لن تُعذّب فهذه الطاقة الهائلة لا تؤذي سوى الأرواح
- إن نزلت كيف سأخرج ؟ و كيف سأنزل من الأساس دون أن أتحطّم
- لكي تخرج سترفعك إحدى فوّهات الطاقة _ و أشار إلى إحداها _ أما بالنسبة للنزول فهذا سهل

أمسك بي و دفعني للأسفل .. سقطتُ داخل الوادي و أنا أصرخ هلعاً و اصطدمتُ أرضاً .. و لكن !! لم أشعر بأيّ ألم !!

نادى العجوز بصوته الذي كسَته الشيخوخة : الطاقة هنا تخفّف من الاصطدام ليصبح على بدنك الضعيف شبه معدوم

التقطتُ أنفاسي بعد أن وقفت متذمراً " لم يكن من الضرورة دفعي بهذه الطريقة "

أين سأجد الجوهرة الآن .. كان الوادي أشبه بالكهف .. يحوي نوازلاً كهفية حادّة و عشرات الفوّهات المتناثرة هنا و هناك .. حجارته كانت شبه رمادية و أحياناً سوداء .. أشعر بطاقة حرارية هائلة هنا و مع ذلك لا أتأثر بل أتعرق و حسب ..

التنفس صعب و السعال كثير و لا حاجة للحديث عن الجروح و الحروق التي ملئَت جسدي .. أو عن شعري الذي غُطي بطبقة من الرمال السوداء .. اللامكان هو حقاً الجحيم بذاته

بحثتُ بناظري لأرى قبّة حجرية صغيرة تحيطها صخور مسنّنة بكثرة .. إنه لأنسب مكان لوضع الجوهرة فيه

مشيتُ نحوها و دخلتها بحذر شديد .. لا أريد المزيد من المصائب .. لأنني لن أتعجب إن رأيتُ في وجهي أفعى خضراء عملاقة . نظرة سريعة و : لقد وجدتها !!

الجوهرة الخضراء

هرعتُ مسرعاً إليها و ما أن أمسكتُها حتى شعرتُ بهزّة أرضية تزايدَت قوّتها " يا ويلي " أحكمتُ قبضتي على الجوهرة و خرجتُ جرياً من القبّة لأجد أمامي .. نعم كما توقعت .. تنيناً ضخم الجثة .. أخضر العينين .. تعرف في وجهه نظرة الموت .. اقترب منّي و أنزل رأسه يتفحّصني متأهباً للطعام .. ابتسمتُ له و رفعتُ يدي بتحية : مرحباً

كان العجوز ينتظر في الخارج .. و قد نفذ صبره . نهض متجهاً للحفرة : أين هو إلى الآ...

لم يكمل جملته حتى خرج تنين على ظهره عمر .. أمسك بيد العجوز و طار به للأعلى محطّماً السقف ..

عندما خرجنا إلى القلعة تصادفنا بحشد من الحرّاس و قد هجموا نحونا ليعطيهم السيد تنين نفحات من النيران الخضراء لن ينسوها طوال حياتهم .. لكن اهتزّت الأرض بشكل مبالغ فيه .. تساقطَت بعض الأحجار من السقف و بدأ الحرّاس يهربون مبتعدين " ماذا يحدث !! "

ردّ العجوز :

" لا وقت للشرح .. علينا أن نبتعد بأسرع ما يمكن "

طار التنين مسرعاً محطّماً ما يظهر في طريقه .. حرّاس .. أعمدة .. صخور و زينة .. شعلات و تماثيل

بدأنا نحلّق في السماء مع عدم وجودها في هذا العالم .. كل شيء كان مظلماً متشبّعاً بالسواد .. لا نجوم و لا بدر و لا أحلام .. نظرتُ للخلف فإذ بي أرى شيئاً لا مثيل له .. طاقة

هائلة بل هي ضخمة هائجة تقترب منّا .. الزلازل مستمرّة متزايدة مع اقترابها .. عندما وصلَت هذه الطاقة إلى القلعة بدأت تبتلعها .. القلعة سُحبَت أمام أعيننا متحطّمة إلى أشلاء .. قلعة ضخمة مثل تلك أصبحَت ملايين من الأحجار الصغيرة .. قال العجوز : ليس الآن !! حظّنا أسوأ مما كنت أتوقع

قلتُ مفزوعاً :

- ما هذا أيها العجوز !!
- إنها العاصفة الروحية .. عاصفة خضراء لا تظهر سوى كل ثلاثة آلاف عام .. تمرّ بالعالم بأكمله لتسحب إلى داخلها كل ما يظهر أمامها لتقوم بتفكيكه إلى جزئيات صغيرة و من ثم يتلاشى بفعل الضغط الهائل من الطاقة .. مهمة هذه العاصفة هي التنظيف .. تنظيف اللامكان من كل الذكريات و البيوت و الخردة القديمة المنسية .. أما الأرواح فلا تتأثر بشيء
- و ماذا سيحدث إن سحبَت العاصفة إنساناً حيّاً لم يمت بعد
- سيموت .. ستجرّده من جسده و تفكّكه إلى أشلاء لتبقى الروح فقط .. و لا داعي لوصف مدى الألم الذي سيشعر به

كنتُ أرتجف من الفكرة .. لم تبقَ مصيبة لم تحدث .. إذاً علينا أن نسرع بعملنا و الخروج من هنا .. و إلا العواقب وخيمة

- يجب الإسراع قدر ما يمكن .. العاصفة فائقة السرعة و ستصل إلى الوادي بعد وقت غير طويل
- سأجعل التنين يسير بأسرع ما يمكن .. لن نضيع ثانية واحدة

* * *

كنت أرى طوال الوقت ذكريات جميلة.. قبيحة .. حزينة .. مقرفة .. جميع أنواع الذكرى .. رأيت الكثير من الكذب و الزور و الخداع .. الكثير جداً من الخيانة و البشاعة.. الكثير من القتل و سفك الدماء .. رأيتُ أناساً بوضعيات لا أستطيع الحديث عنها .. قصص حب انتهت بمأساة . ربما قتل و ربما خيانة .. قليل جداً نهايتهم كانت إلى الزواج .. لا ينتهي المطاف بالزواج إلا عند الصادقين .. كن صادقاً .. وفيّاً فالعالم لا يحتاج المزيد من البشاعة و لا المزيد من التفه و الخيانة و الكذب .. هناك رابط وحيد بين الإنسان و الحيوان ألا و هو الشهوة ..

و فارق بينهما ألا وهو الوعي .. الإنسان مرّات يشتهي القتل .. الدمار .. الفساد . الزور .. الكذب .. الخيانة .. إلخ

لكن الله ميّزه عن الحيوان بوعيه ... أيّ أنه بطبعه يستطيع أن يكون شيطاناً لو أراد و ملاكاً لو أراد ..

كانت نادين في السيارة حين خرجنا لذا قمنا بأخذها معنا لكنها كانت نائمة فلم نوقظها بسبب عجلتنا و لم ترَ العاصفة التي لا تعلم بوجودها أساساً .. قالت بعد دقائق من استيقاظها : ما وجهتنا الآن ؟

ردّ العجوز : إلى حارس الحافة

قالت : انتظر قليلاً .. أين أنا و ماذا حدث .. هل . هل هذاااا تنيييين !!!

قال العجوز :

- نعم هو كذلك .. لا تقلقي لم يفتكِ شيء يا صغيرتي فقط هنا مجرّد عاصفة خضراء تلاحقنا و ستفكّكنا و تحوّلنا إلى أموات .. أمور تافهة لا تشغلي نفسك بها

ضحكتُ عندما رأيت وجه نادين المفزوع بفاه مفتوح تكاد أن تبكي

قلتُ متسائلاً : أيها العجوز . هناك سؤال يجول في بالي : تفضل

- لماذا سمّيت بالحافة ؟
- الحافة هي يمكنك القول عنها نهاية هذا العالم .. ينتهي هناك كل شيء عند حافتها .. لا يوجد شيء بعدها أما الحارس فيقف هناك كون الحافة أنسب مكان له
- الآن فهمت

تدخّلَت نادين : لكننا لسنا جاهزين لقتال الحارس

قلتُ بحزم بعد صمت استمر ثوان : لا نستطيع الانتظار أبداً .. إما أن نموت في العاصفة أو نموت على يد الحارس .. و ربما .. و أقول (ربما) نستطيع اجتياز الحارس و العودة لحياتنا سالمين

صمتت نادين و سألت بعد دقائق :

و هل الحافة بعيدة عنّا

ردّ العجوز : لا .. فالقلعة على قدر ما أذكر كانت قريبة منها و عن طريق هذا التنين نستطيع أن نصل إليها عمّا قريب

* * *

وصلنا ... نعم لقد وصلنا .. كنّا نرى الحافة من بعيد .. سرَت رعشة في جسدي لم أفهم سببها لكن كل ما علمته هو أنني اقتربت من مواجهة عظيم اللامكان .. عظيم الكائنات .. و عظيم الوحوش .. الحارس كراسوا العظيم حارس حافة العالم هذا

قالت نادين : أين الحارس؟ ألا يفترض أن نراه

رد العجوز بسرعة : ربما تقاعد .. لم يعجبه عمله و انتقل إلى اسطنبول ليتزوج و يجد عملاً هناك

بنفاذ صبر و خوف ردَت : كفاك سخرية .. نحن في وضع لا مزاح فيه

شاركتُ في الحديث مشيراً : إنه هناك .. يغطّ في سباته

كان في القاع أمام الحافة لا يظهر منه سوى قرنيّ خوذته .. ضخامة القرون الحديدية كافية لتصوّر حجم هذا المخلوق

قلتُ في قلق : كيف سنقضي على شيء كهذا

العجوز : دعنا نتحدث معه و نشرح حالتنا و نروي قصتنا لعله يكون لطيفاً .. لا تغرّنك مظاهر الأمور

هبط التنين .. ترجلّنا عن ظهره و حطّت أقدامنا على أرض الحافة .. كان شيئاً يدعو للرهبة ، علينا الآن أن نتقدّم و هنا تكمن المشكلة ؛ فلا أحد فينا يجرؤ على تحريك قدميه .. عندما كنت أتحدث بثقة و حزم لم أكن أمام ذلك المخلوق .. أما الآن فأنا كذلك

تقدّمتُ أولاً و مشيتُ بخطوات واثقة تخفي وراءها ساقين مستعدة للهرب في أيّ لحظة .. اقتربتُ ما يكفي ليدور حديث مع الحارس _ هذا إن أعطانا مجالاً للحديث _ و من ثم صرختُ بكل قوتي: استيقظ أيها الحارس كراسوا العظيم

تردّد صدى صوتي في الأرجاء

مرّت لحظات قبل أن ...

اهتزّت الأرض لثوان معدودة و ارتفع القرنان عالياً ليظهر رأس ضخم مغطّى بخوذة حديدية .. ظهر جذعه العلوي الحديدي و بقي الآخر مخفياً في القاع .. شعّ نور أخضر من منتصف خوذته و رفع رأسه بتثاقل نحونا

الحارس كراسوا العظيم

قلتُ للعجوز بساقين مرتجفتين : لماذا كل شيء في هذا العالم أخضر

- هذا اللون الأساسي لهذا المكان

تماسكتُ أعصابي و ضبطتُ نفسي و وجّهتُ كلامي للحارس : نحن أحياء انتهى بنا المطاف هنا عن طريق الخطأ و نرجو عظمتك أيها الحارس أن تسمح لنا بالمرور لعالمنا .

قلتُ كلماتي و من ثم التقطتُ أنفاسي .. لم أتصور أني سأجرؤ على تحريك فمي حتى

ساد صمتٌ قاتل قبل أن يرفع يده العملاقة و يهوي بها أمامنا .. سقطنا أرضاً على بعد أمتار من الضربة و من ثم قمنا بسرعة لنتجنّب الضربة التالية التي كادت أن تصيب العجوز .. إذاً لن يسمح لنا .. لا خيار لنا إلا المواجهة ، قال العجوز : أعطه قرباناً .. هذا خيارنا الوحيد

- لم يتوفر لنا وقت لنجلب معنا مخلوقاً بسبب العاصفة اللعينة

نظرَ إلى التنين و قال : و هذا ؟

بنبرة معاتبة : لاااا مستحيل .. لقد ساعدنا على الهرب لولاه لكنّا في عداد الأموات الآن .. العاصفة لن تأثر عليه فهو من مخلوقات هذا المكان لكنه بالرغم من هذا قدّم لنا المساعدة و لن أؤذيه أبداً

تجنّبنا ضربة أخرى و سحبتُ نادين من يدها و اختبأنا خلف إحدى الصخور

صاح العجوز : أمسك هذا

و رمى سيفاً حديدياً أمامي .. التقطته و قد كان سيفاً ثقيلاً من معدن صدئ لكنه حاد بشكل مفيد لحالتي

- ابقيا هنا

و جريتُ نحو الحارس مشهراً سيفي في الهواء .. رفع يده و هوى بها على يميني .. أسرعتُ الخطى و قفزتُ على كتفه الأيسر متجهاً لوجهه

ارتميتُ بكل قوتي لأطعن سيفي في منتصف شقّ خوذته و ما أن شارف سيفي على الدخول حتى جاءني كفّه من الجانب ليضربني بها كالذبابة .. وقعتُ أرضاً و انكسرت ساقي و تفجّرت من رأسي نافورة من الدماء

توقفتُ عن الزحف عندما رأيت قبضته قد أصبحت فوقي .. استسلمت .. هذه النهاية و لا نهاية سواها .. كان من المفترض أن أموت مع صديقيّ و لكنّي تمرّدتُ على قدري و عدتُ إلى الحياة فكانت هذه عاقبة تمرّدي .. هوَت قبضته نحوي .. أغمضتُ عينيّ .. لا أريد رؤية شيء و لكن .. سمعتُ صوت زئير متمرّد بشراسة و من ثم ضربة قوية .. فتحتُ عينيّ لأرى التنين ممدّد على الأرض .. لقد أنقذني للمرة الثانية .. كان هذا دوري . كان دوري أن أنقذه !

التنين عندما أنقذ عمر من يد الحارس

هرعتُ إليه .. لن أتركه وحده .. كنت أمشي على ساقي المكسوة و التي كنت أحسّ بنار تضرب أعصابي كلما حرّكتها

وصلتُه و رحتُ أهزّ رأسه .. أخرج صوتاً يعبّر عن استجابته لم يمت .. إنه حيّ ! شكراً إلهي .. لم يمت

تفحّصت رقبته و التي كانت مجروحة جرحاً بليغاً .. كانت تنزف بشدة لكنه لن يمت إن ساعدتُه .. خلعتُ قميصي

و وضعتُه على الجرح .. سيكفي لتضميد جرحه و إيقاف نزيفه " لا تخف أنا بجانبك " دفعتني نادين بعيداً لتضرب قبضة الحارس التنين .. صرختُ عالياً بدموع قد تسابقت من مدمعيّ : لاااااااااااااا

أخذ الحارس يضربه مرة بعد أخرى لقد هرس جثته و سحقها تماماً .. لا وجود لكلمة في قواميس اللغات من الممكن أن تعبّر عن ألمي و شجني في تلك اللحظة .. لقد سحقه أمامي!!

أمام ناظريّ !! كنتُ أشتهي تمزيقه إرباً إرباً .. تحطيمه .. تفجيره و تحويله إلى رماد و لكن الحق حق و الواقع واقع .. قوتي لا شيء أمامه .. لا أستطيع فعل شيء و لا تحريك ساكن

بدأتْ الأرض تهتزّ من جديد .. ماذا يحصل ؟ نظرنا حولنا لنراها .

- العاصفة !!!
- ماذا سنفعل .. الموت يحاصرنا من الجانبين

كانت العاصفة تقترب بسرعة رهيبة إلينا .. خلال دقائق ستكون قد ابتلعتنا و فكّكتنا جميعاً

قال العجوز : لم يتبقى لدينا خيار آخر

قالت نادين : أتقصد أن نستسلم و نموت !

قلتُ لها : و ما العمل ؟ أنهرب ؟ نقفز في ذلك القاعة إلى اللاشيء ؟ هذا رائع من اللامكان إلى اللاشيء

قال العجوز : لم أقصد الموت

- ماذا تعني ؟
- أمعك الجوهرة ؟
- نعم .. ها هي

و أظهرتها له من تحت ثيابي .. كنتُ أضع حزاماً أعطاني إياه في منزله عندما كنّا نستعدّ للانطلاق

اقترب منّي و جثا على ركبتيه و وضع كفّيه على كتفيّ .. راح ينظر في عينيّ قائلاً : اسمع يا عمر .. أنا رجل في نهاية عمره كما تعلم .. ربما أعيش لشهر أو لسنة أو لسنتين على الأكثر

لقد عشتُ حياتي بكامل تفاصيلها و رأيتُ منها ما يكفي و عرفتُ فيها الشدّة و الرخاء و الفقر و الغنى .. أما أنت شاب في بداية عمرك لم تأخذ نصيبك من الدنيا و لم تعش لحظات كان عليك عيشها .. لحظات من القسوة أن نحرم إنساناً منها .. لكلّنا وقتنا و لم يحن وقتك بعد .. عليك أن تحيا .. أتفهم ؟

قلتُ له بتوتر : إلى ماذا ترمي ؟

نهض واقفاً و باعد ما بين منكبيه و نظر أمامه بحزم شديد و قال : أما أنا .. فحان وقتي ..

ركض باتجاه الحارس بين صرخاتي : لاااا .. انتظر

زحفتُ محاولاً اللحاق به لكن دون جدوى .. أمسكتني نادين و راحت تهدّئ من روعي

رفع الحارس يده عالياً و ضربها أمامه لكنه تجنّب السقوط و أكمل جريه .. هذه المرة الأولى التي أراه بها بتلك الرشاقة ..

عندما تعرف أنها نهايتك لا تمت جباناً ، و هذا ما يفعله فلم يعد هناك ما يخشاه ..

وصل إلى الحافة و رمى بنفسه قرباناً ..

تضحية العجوز

خرج ضوء ساطع يعمي الأبصار من خوذة الحارس ..
صاحت نادين : لقد حان الوقت

لم أتحرك و بقيتُ أذرف دموعي : كان يجب أن أضحّي أنا و ليس هو .. أنا و ليس هو .. كان يتمنّى أن يعيش ليرى العالم الخارجي و لو لمرة واحدة .. لم يره منذ عشرين سنة ..

لقد رأيتُه منذ وقت قريب .. فليره هو .. لكني لم أضحِّ .. لم أفعل .. لم أفعل

اقتربَت نادين و مسحَت دموعي قائلةً : لقد ضحّى بنفسه لتعيش فلا تدع تضحيته تذهب هباءاً .. عليك أن تعيش .. هيّا قم و لا تستسلم .. افعلها لأجله

كانت العاصفة على بعد أمتار منّا .. نهضتُ بسرعة بمساعدة نادين و جرينا سويةً نحو الحارس العملاق الذي كان يصرخ مزمجراً بصوت لا يحتمله إنس و لا جان .. العاصفة وراءنا مباشرة لو توقفنا لثانية واحدة سنهلك فيها . كنت أستند على نادين .. و ما صعّب الأمر علينا هو الطاقة التي تجرّنا نحو العاصفة بالإضافة لصوت العملاق الذي لا يكفّ عن صراخه الذي تقشعرّ له أجسامنا

- علينا أن نسرع أكثر يا عمر .. ستبتلعنا العاصفة

رمينا بأنفسنا و فارقنا الحافة نحو الهاوية .. ممسكاً بنادين أخرجتُ جوهرتي و رفعتها أمامي لتضيء نوراً ساطعاً أشعرني لأول مرة باللامكان يضيء بكامله .. نور يشتدّ و يشتدّ متزامناً مع صراخ العملاق .. صحتُ بأعلى صوتي عندما غطّى النور الأبصار عن آخرها : لنخرج من هناااا ...

* * *

ألقيتُ التحية على العم محمود واقفاً أمام باب المنزل .. أخرجتُ رزمة من المفاتيح لأبحث بأصابعي عن مفتاح البيت .. ما هي إلا لحظات حتى فتحَت الباب ثريّا طفلتي الصغيرة منادية : بابا دلفتُ المنزل و أنا أحملها هاوياً بقبلات على خدها

صاحت نادين من المطبخ : عمر ؟ أعدت ؟

- نعم يا عزيزتي

وضعتُ ثريّا على الكنبة في غرفة الجلوس .. كان الجوّ صحواً و شعاع الشمس الدافئ ينير المكان ، جاءت نادين بخطوات سريعة و أمسكَت بي تقبّلني " لقد تأخرتَ .. لكنني أعددتُ لك طبقك المفضل "

- أحقاً ؟ .. حسنتً إذاً تستحقين عناقاً طويلاً ...

وراء ذلك المشهد كانت على الحائط خلفهم مقلاة حديدية صدئة معلّقة و سيف قديم مكسور تتوسطهما جوهرة خضراء تهادى شعاع الشمس إليها ليضيئها مرة أخرى .

تـمَّـت

مأساة في الماضي

عندما كنتُ صغيراً عشقتُ قصص الرعب .. كنت أبحث عنها في المجلات .. قصص الأطفال البسيطة ..

لكنّي لم أجد ما ينعشني . كنت أحتاج شيئاً يملئني رعباً و خوفاً فكنت دائماً ما أبحث في التلفاز على لقطة دموية أو وحشية فشاهدت الكثير من الحيوانات التي تلتهم بعضها و القتلة و السفّاحين و عبدة الشياطين الذين يختطفون الناس لتقديمهم قرباناً للشيطان و مع هذا لم أجد ما أريد

كنت أحب التعذيب و رؤية الدماء فعلى سبيل المثال في سن العاشرة اختفى كلبنا جون لفترة غير طبيعية ما دفع والدي للبحث عنه ليجده بعد مدة قصيرة غارقاً داخل خزّان مياه كان في حديقتنا .. بالتأكيد لم يكن غرقاً عادياً فتلك الجروح و الرضوض تشي بكل شيء ..

مع مرور الوقت بدأت أقرأ روايات الرعب حين اكتشفتها لأول مرة بعد زيارتي لإحدى المكتبات .. كنت أقرأها بلا توقف .. بنهم .. الرعب الرعب هو كل ما أريده .. و بحلول فترة المراهقة امتلأت غرفتي بصور معلّقة على الجدران

صور لمصّاصي دماء و وحوش و لسفّاحين معروفين على مرّ الزمن .. كنت أراهم قدوة و قد صنعوا إنجازات لا تحصى

على سبيل المثال أحد هؤلاء كان يقتل الأطفال و يصنع من لحمهم حساء يقدّمه لأهلهم دون أن يعلموا بلحوم أطفالهم التي يأكلونها .. على فكرة لحم الإنسان يعدّ من ألذّ اللحوم طعماً

لم أتذوقها طبعاً لكن هذا ما قاله مَن فعل

في عمر العشرين عشقتُ أفلام الرعب و تطورتُ إلى أن استطعتُ الدخول للانترنت المظلم لأشاهد بشراً يُعذَّبون و يُقتَلون .. نساء تُغتصَب و تَقتَل و أطفالاً يُضرَبون و تُسلَخ جلودهم .. ربما ذلك برأيك مقرف و مقزز و فعل وحشيّ دون نقاش أو اختلاف لكنني أتلذّذ و أذوب حبّاً و عشقاً في الصراخ و التعذيب ..

جميل أن أراهم يموتون و هم يرجون الرحمة و يتألمون .. في هذه المرحلة بدأت أمي تشعر بالقلق و الريبة ما دفعها إلى أن تلحّ على والدي ليعايننني طبيب نفسي و هو ما حصل

كشف عنّي ذلك الطبيب نحيل الجسد و الوجه .. خفيف الشعر مع شيب بدأ يغزو رأسه . و تساءلتُ مراراً عن هاماته السوداء تحت عينيه و التي امتدّت لتحيطها حتى شعرتُ بكونها ثقوباً سوداء لا عيون

بعد الجلسة الأولى أعلن الطبيب عن كوني مصاباً بالساديّة و هو مرض نفسي ينمّ عن هوس بالقتل و الدماء و التعذيب و الاستمتاع بها . هذا النوع من المرضى لا شهوات جنسية لديهم بل شهواتهم تتضمن التعذيب لا غير .. بدأتُ بحضور جلسات نفسية قسراً دون إرادة منّي و هذا خضوعاً لرغبة والديّ و مع الوقت ظهرَت معالم الشفاء و يمكننا القول بأنني قد غدوت إنساناً طبيعياً تماماً .. كنت أخشى عودة المرض لكن الطبيب طمأنني قائلاً :

« نسبة معاودة ظهور المرض هي واحد بالمئة .. فلا تقلق و عش حياتك بطمأنينة تامّة »

كنتُ سعيداً بذلك التغيير و بدأت علاقاتي الاجتماعية بالتحسن و أصبح لديّ صداقات لا تعدّ و لا تحصى ..

و بعد سنوات فعلتها كما يفعل الجميع و تزوجت نينا .. كانت نينا امرأة عشرينية واسعة الجبهة و العيون و سوداء الشعر و متوسطة الطول .. كانت قد أسرَت قلبي بجميع معاني الكلمة و بدأت تخرج القصائد الرومانسية النثرية من حيث لا أدري و باقات الورد الحمراء و الهدايا الفاخرة التي كنت أقترض من البنك لأستطيع شرائها .. لم أكن غنيّاً و لا فقيراً .. مستمتعاً بالحياة أعيشها بجميع تفاصيلها .. إلى أن ...

* * *

كنت قد قضيتُ ليلة فاقَت حدود الرومانسية مع نينا و من ثم خلدنا للسرير .. و في الصباح بعد أن تشابكت خيوط الشمس في الغرفة و فتحتُ عينيّ لأنهض .. أدرتُ رأسي إلى الجانب لأرى نينا قد ..

قد غُطّيت ببحيرة من الدماء .. كانت ملامحها لا تظهر من كثرة الدم على وجهها .. اتصلتُ بالإسعاف و الشرطة مباشرة و ما هي إلا دقائق حتى نُقلَت إلى المشفى و بالتأكيد كانت قد فارقَت الحياة .. انهرتُ و فقدت السيطرة على نفسي لتتفجر نافورة من الدموع

- زوجتي !! نينا .. لماذا

حقّقت الشرطة بالحادثة و طبعاً كان المشتبه الأول و بجدارة هو أنا .. خاصة و أن ماضيي لا يُفتخر به .. لم يكن لدي حجة غيابية أو دليل على براءتي .. لقد كنت نائماً و عند استيقاظي وجدتها ميّتة .. لم يصدقني أحد .. كيف تسلّل القاتل إلى الغرفة و قتلها بطعنات وحشية دون أن أشعر بشيء ؟ بالتأكيد صرخَت و قاومَت لكنّني من الغريب ألا أسمع

حاولتُ تقديم شرح مفصل عن علاقتنا و أنني أعشقها لحدّ الجنون و لا دافع لي لقتلها لكنهم لم يصدقوا حرفاً

« كنت مريضاً يعشق القتل و الوحشية و هذا دليل كافي لإدانتك »

تطوّرت الأمور لتصل إلى المحكمة فما كان أمامي سوى توكيل محامي لعلّه ينجيني من ورطتي هذه .. لم أستطع حتى الحزن بما يكفي على نينا

لقد كانت مطعونة ثلاثة و عشرين طعنة !! في فكّها السفلي و كتفها و بطنها و ساقيها .. لم أحتمل النظر للجثة .. كنتُ كطفل يرى جثة أمه و يقول باكياً : أريد أمي

هذا ما شعرتُ به " أريد نينا " فارقتُ حبيبتي ، و المرأة التي أعشقها و أعشق صوتها عند إيقاظي و الأشنع من ذلك كله هو أنني متّهم بقتلها !

كانت محاكمة قاسية و لم يستطع المحامي الدفاع عني كما يجب و انتهى الأمر بالحكم عليّ بالإعدام و اعتُبرت قاتلاً متورطاً بجريمة قتل من الدرجة الأولى

استطاع محاميي توفير يوماً لأقضيه في منزلي لأحزن على زوجتي المقتولة قبل أن يتم تنفيذ حكم الإعدام .. وافقَت المحكمة بصعوبة بالغة بشرط محاوطة الشرطة للمنزل طوال اليوم

دلفتُ للمنزل بهدوء .. كان الجو ساكناً .. ألوان البيت باهتة الأغراض لا زالت كما تركناها . لا أسمع صوت نينا تنادي : عزيزي ؟ هل عدت إلى المنزل ؟

في ليلة و ضحاها انقلبت الموازين لتغدو نينا مقتولة بوحشية بينما أنا سأموت شنقاً بتهمة باطلة لا أساس لها .. بحق الجحيم من القاتل و كيف استطاع قتلها دون أن أشعر حتى .. و لماذا يقتل شخص نينا من الأساس ؟ كانت امرأة لطيفة .. طيّبة لا تملك عداوات مع أحد

فتَّشتُ هاتفها .. أغراضها .. سألت صديقاتها .. لكن لا شيء لم أجد شيئاً قد يفيدني في القضية

عليّ أن أمسك القاتل لأنتقم لنينا أولاً و لأفكّ نفسي من حبل المشنقة ثانياً .. لديّ يوم واحد لا غير .. عليّ فعل شيء ..

في المساء جلستُ على حافّة السرير .. مهزوماً مستسلماً .. وضعتُ وجهي بين كفيّ و زفرتُ بفتور هامساً : ليتني أستطيع العودة بالزمن لأمنع حدوث المأساة

و حينها ... رفعتُ رأسي و صحتُ : نعم !! هذه هي

و لكن .. كيف سأفعلها ؟ لم يفعلها أحد من قبل أو ربما فعلوها لكن أخفوا الأمر عنّا .. ليس لديّ الكثير من الوقت فقط ساعات قليلة فلم يخطر في بالي سوى نشر منشور على الانترنت طالباً المساعدة في أقرب وقت

وصلتني الكثير من الإيميلات و الرسائل و طبعاً كانت جميعها كاذبة ساخرة ما عدا واحدة .. كان صاحبها كما يدّعي عالماً بالفيزياء و قد استطاع إيجاد طريقة للعودة إلى الماضي بحدود الشهر لا أكثر .. إن كان صادقاً حقاً فسأستطيع العودة إلى ليلة المأساة فلم يمضِ عليها أكثر من ثلاثة أسابيع .. تواصلتُ معه و دار حوار بيننا خلاصته أنه قريب من مدينتي و سيصل إلي بعد ثلاث ساعات .. لم يحدّثني عن آلته و قال سيخبرني بكل شيء فور وصوله .

مرَّت الثلاث ساعات ببطء شديد حتى كدتُ أحسّها كالسنين و لكنه طرق الباب في نهاية المطاف .. كانت الساعة الثالثة صباحاً ، فتحتُ الباب لأرى رجلاً بطول أدنى من المتوسط ..

سميناً يرتدي نظّارة طبيّة برأس أصلع مع فرقتين من الشعر الأبيض على جانبي الرأس .. لا أدري لمَ غالب علماء الفيزياء بهذا المنظر و خاصة فرقتيّ الشعر الأبيض المتقوسة فوق رؤوسهم و لكن لا بدّ أن هذا دليل كافي على كونه عالم فيزياء حقيقي

أدخلته البيت بعد أن رحّبت به .. لم يكن معه شيء

سألته باستغراب : أين الآلة ؟

- من قال أنك تحتاج لآلة ؟
- لم أفهم .. كيف سأنتقل دون آلة ؟
- لقد تأثرنا بأفكار الأفلام التي دائماً ما تنصّ على السفر عبر الزمن من خلال " آلة زمن " و هذا لا يعني إمكانية السفر بالآلة .. فربما فكرة الآلة بكاملها خاطئة .
- ماذا تقصد ؟
- لقد وجدتُ طريقة لم أسمع أحداً تحدث عنها للعودة للماضي و هي تتجلّى بهذه

ثم رفع كفّ يده الذي يحوي حبوباً زرقاء اللون

- هذه الحبوب ذات تركيبة غريبة جداً .. استعملتُ لصنعها الطاقة النووية و مواداً من خارج الأرض قمتُ بسرقتها من إحدى وكالات الفضاء

- طاقة نووية ؟ الفضاء ؟ سرقة ؟
- لا تخف لن تحدث الطاقة النووية لك أيّ ضرر
- و لماذا تعطيني إياها مجاناً و هي قد تكلّف حبّة واحدة منها آلاف الدولارات
- أنا لا أعطيك إياها حبّاً لك أيها الأحمق .. بكامل الصراحة أعدّك فأر تجارب أجرّب حبوبي عليه
- كيف تجرؤ !!
- صنعتُ هذه الحبوب حديثاً و لا أدري إن كان مفعولها ناجحاً أم لا .. و سأعترف لك من الآن إن لم تنجح فستموت بتسمم بسبب الطاقة النووية

صمتُ قليلاً بفكّ متدلي .. كنت حائراً

لم يكن لدي خيار آخر .. إن بقيتُ هنا و رفضتُ عرضه سأُعدَم بعد ساعات .. أيّ أنني إن كنت اليوم سأموت فإما على المشنقة أو بسبب التسمم .. حسناً لا بأس بالمحاولة إن كانت النهاية

واحدة ، خطتي كانت هي العودة لليلة المأساة لأمنع القاتل من قتل نينا و بهذا أصلح كل شيء .. أما القاتل فسأتدبر أمره

وافقتُ على تجربة الحبوب .. و طلب منّي تحديد الساعة

و اليوم الذي سأعود إليه و بعدها أعطاني حبّة من الحبوب

و طلب مني بلعها دون شرب ماء بعدها .. و قد فعلت

مرّت لحظات قضيتها بتوتر شديد .. كان العالم ينظر إليّ بترقب ..

شعرتُ بعدها بانقباض في صدري و ازدياد في دقّات قلبي حتى أحسستُ بالدماء تجري بسرعة متزايدة في عروقي .. تزايدت سرعتها بشكل فظيع فصاح العالم

- من الممكن أن تنفجر إن استمرّت بالتســ ..

لم يكمل حتى اختفيتُ تماماً و انتقلتُ بسرعة رهيبة في نفق دوديّ أزرق اللون .. هل هذا هو الزمن ؟ كان يشعّ بضوء ساطع بينما أسقط نحو الأسفل بشكل مائل شاعراً بحرارة حارقة في جسدي و من ثم .. هووووب .. سقطتُ على بلاط أرضية في مكان مظلم .. تركتُ نفسي منسدحاً حتى استعدت صوابي و

نهضت لأجد نفسي في المطبخ .. مطبخ منزلي .. هل نقلني إلى المطبخ بدل أن نقلي عبر الزمن ؟ خرجتُ إلى الممرّ لأخبره

و لكنّي ما أن دخلتُ غرفة النوم وجدتُ نفسي و نينا نائمين على السرير و نغطّ في نوم عميق

صرختُ هامساً بسعادة : لقد نجحت !!

اتجهتُ للمطبخ و التقطتُ سكيناً .. هذه المرة لن أسمح له بقتلها

لن أنتظر بمكان مكشوف لكيلا يهرب القاتل إن رآني .. سأجلس هنا في المطبخ إلى أن يحين الوقت .. سأنقذك يا نينا هذه المرة

مرّت ساعة و لم يحدث شيء . نظرتُ نحو النافذة لأرى البدر يتوسط السماء يراقبني ليشهد على حبّي و وفائي لزوجتي الحبيبة .. سيرى كيف أنقذها و أتعارك مع قاتل مجهول الهوية لأجلها

* * *

سمعتُ صوت خطوات في المنزل فنهضتُ بسرعة متوتراً مرتعش اليد .. ألقيت نظرة على الغرفة فرأيت رجلاً فيها لم أتبين ملامحه بسبب الظلمة

هرعتُ متسلّلاً نحو الغرفة حتى أصبحتُ بجانب الباب و هنا بدأ يقترب منها حاملاً سكيناً في يده !!

- حان الوقت

جريتُ نحوه و دفعته أرضاً ، وقعَت سكينه لكنه التقطها مرة أخرى و سدّد لي ضربة بالكتف لكنّي لم أبالي بها فهي ضربة لا تحمل أيّة خطورة

بدأتُ أطعن جسده وسط أنامله التي تحاول المقاومة و إمساك وجهي .. وضعتُ يدي على فمه لكيلا يصرخ و يوقظني و نينا

طعنته بقسوة دون رحمة حتى تلطّخ وجهي و ثيابي بالدماء عن آخرها .. لم يعد يتحرك و توقف تنفسه ..

وقفت و بصقت عليه و من ثم نظرت لنينا النائمة نظرة انتصار .. لقد أنقذتكِ هذه المرة

لن أتركها ترحل ثانية .. سنعيش و ننجب أطفالاً أشقياء ..

لا بأس فليعذبونا قليلاً فما أجمل أن نكون سوية و عندما يكبرون سأحدّثهم عن أبيهم البطل الذي سافر للماضي لينقذ أمهم و بطبيعة الحال سيعتبرونني مجنوناً و سأكون الوحيد المصدّق لما أرويه لأنني الشاهد على كل شيء

أنزلتُ رأسي قليلاً حتى تصلّبت بمكاني .. سرَت رعشة في جسدي بأكمله و اختفت ابتسامتي حين لم أجد نفسي في السرير !!!

خطر لي خاطر و تمنيّت أن أكون مخطئاً فهرعت لجثة القاتل و أضئت مصباحاً على وجهه و ...

كان أنا .. كنت القاتل حقّاً طوال الوقت .. إذاً مرضي عاود الظهور

كنت أبحث عن المجرم بينما كان أنا !! صحيح أني أنقذتها

لكنّي أدركتُ الحقيقة المرّة و هي أنّي قتلت نفسي .. بما أنني قتلت نفسي في الماضي فهذا يعني لن أكون متواجداً في المستقبل . ستجد نينا جثتي صباحاً و ستتصل بالشرطة و يتّهمونها بالطبع و يُعاد السيناريو من جديد

بدأتُ أشعر بشيء بأطرافي .. جسدي راح يتراخى و كأنني أتخدّر .. نظرتُ ليديّ الملطّختين بالدماء لأراهما تختفيان أمام عينيّ .. نعم هذا منطقي ، متُّ في الماضي إذاً لا يُفترض تواجدي هنا .. لقد كنتُ أختفي .. كنتُ أتلاشى .

تـمَّـت

الرحيل

عشقتُها منذ الصغر .. فمنذ فتحتُ عينيّ على الدنيا كانت أمامي طوال الوقت دون انقطاع لم يكن قلبي أسيراً لسواها .. بالرغم من صغر سنّي كنت أشعر بذلك الشيء الصغير يتحرك عندما أكون معها .. لم أفهم أبداً ماهية ذلك الشعور إلى أن كبرتُ قليلاً فذلك الإحساس هو ما دفعني لأرفع سمّاعة الهاتف لأتصل بها في أحد أيام العيد و :

- الو
- أسيل ؟
- نعم

- حقيقةً .. هناك شيء أريد إخبارِكِ إياه و لكن بحروف متقطّعة و عليكِ ترتيبها

- حسناً قل .. أنا أسمعك
- ألف .. نون .. ألف

ألف .. حاء .. باء .. كاف

- هل فهمتها ؟
- نعم
- ما جمعها ؟

- أنا أحبكِ

حسناً يا أعزّائي .. هذا ما حدث وقعت في حبّ هذه البويضاء

كنتُ أزداد عشقاً و هوساً بها كلما كبرتُ رويداً رويداً ..

صار قلبي متيّماً بها حتى أصغر وريد . لم أكن أستطيع كبت ذلك الجنون الذي يجذبني إليها لدرجة بدأتُ أقتنع بأنني مسحور

كنت إذا رأيتها فقدتُ توازني و تمييزي للناس فلا أرى غيرها

عاتبتني كثيراً لائمة على نظري المطوّل لها في مجلس العائلة لكنّي لم أستطع .. فما أن نكون في ذات المكان حتى أفقد سيطرتي على عينيّ لأرى البؤبؤ يتحرك دون إرادة منّي نحوها

كأن جسدي مبرمج على ملاحقتها .. مرّت السنين و الأيام

و انتهى بنا المطاف بالزواج و تحقّق حلم طالما انتظرناه بفارغ الصبر .. صبرنا سنيناً طوال و بقينا سوية في الشدة و اللين .. أفلا نستحق الزواج ؟

في أول يوم لنا كعريسين .. استيقظتُ صباحاً لألتفت جانبي و أرى .. و أرى حلم سنيني يشاركني السرير .. لقد نسيتُ أني تزوجتها !!

اقتربتُ بسرعة منها و تأمّلتها عن قرب .. لم أدري حينها أهي ملاك ؟ لا لا هي أجمل ..

إذاً أهي من حوريات العين قد فرّت من الجنة ؟ لا لا .. هي أجمل .. لا يخطر في بالي سوى كونها مخلوقاً مقدساً نورانياً قد جمع الله فيه حدائقاً من جناته فجعلها في بدنه و أقماراً من جنته ليجعلها عينيه و كذلك نهر من العسل ليجعله لعاباً و شجيرات لتكون حاجبيها .. حرير خُلُق خصّيصاً ليكون شَعرها ..

و أكاد لا أشك بعبير من الورود الفردوسية لتكون رائحتها .. تلك الرائحة الفوّاحة من رقبتها نتيجة عَرق من المسك أو أجمل

الحق يُقال .. سمعتُ سابقاً عن كون حوّاء أجمل النساء التي خلقها الله منذ بداية الخلق .. مع أني لم أرها و لكنّي أجزم بكون هذه الراقدة أمامي قد ضاهتها جمالاً بأضعاف لا تعدّ و لا تحصى .. الفنان الإيطالي العالمي ليوناردو دا فنشي صاحب الموناليزا و العشاء الأخير آمن بوجود تناسق و ترابط بين جسم الإنسان و الكون و هذا ما آمنت به بعد رؤيتي لحوريتي .. بل آمنتُ بكونها الكون متجسداً بهيئة بشرية أنثوية .. ربما كانت كوناً لبُعد آخر و قرر الله إنهاءه فحوّلها من كون إلى أنثى

و أنزلها مع جبريل لينفخ روحها في بطن أمها .. و هكذا وُجدت . لم تكن من تراب بل من كون .. ففي عينيها المُسكرات أرى مجرّات و أبعاد كونية .. أرى أماناً لا سبيل له سوى العناق .. لم أحتمل رؤيتها أمامي فهويت بقبلاتي عليها معانقاً جسدها جاذبه إليّ .. استفاقَت بعدم فهم .. فتحت عينيها لترى مجنوناً يكاد أن يلتهم وجهها .. قلتُ لها : لقد اشتقتُ لكِ عندما كنت نائماً

أمسكَت بعنقي و جذبتني إليها و أكملَت ما بدأتُه .. تلاقَت الثغور و الألسن و الشفاه .. و يا لمقبَّلها من مقبَّل .. و ليديها من يدين .. يا لحظي و سعادتي اللامتناهية ليعطيني الله مخلوقة لم يخلق شبهها من قبل

* * *

و مضت الأيام تِباعاً .. تذكرتُ مرّة حين قالت : ماذا إن أعجبتك غيري مستقبلاً .. بسبب بلوغ عقلك

تذكرتُ هذه الجملة التي قالتها قبل سنوات لأنني الآن أراني أزداد هياماً و عشقاً لها كلّما كبرت و نضج عقلي ..

في جدالاتنا كانت هناك جملة كثيراً ما تقولها و هي الجملة التي دائماً ما تحزنني كثيراً .. ألا و هي :

" لو كنتُ مشلولة لما أحببتني "

هي لم تعرف وقع هذه الكلمات في نفسي و لكنّي لأموت قهراً منها .. كثيراً ما رددتُ عليها : أنتِ لا تدرين بما في نفسي من حبّ لكِ حتى تقولين هذا الكلام

و كعادتها لم تصدّق و لم تصغِ .. توالت علينا الأيام و نحن ما بين جدال و رضا .. حزن و سعادة ..

بلغ عمر زواجنا سنة كاملة و لم نرزق بعد بطفل . و هذا لأننا لم نرد الإنجاب الآن فاتفقنا على قضاء وقتنا كعاشقين مرتاحين لفترة لا بأس بها قبل أن نُدخل صفّارة الإنذار على حياتنا .. قالت أسيل في أحد الأيام : سأذهب لزيارة منزل والديّ .. سأتصل بك عندما أقرر العودة

اقتربتُ منها و قرّبت وجهي من وجهها : و لكن لا تطيلي .. سأجنّ ريثما تعودين

طبعَت قبلة مرحة على شفاهي و مدَّت يدها الصغيرة تضغط على خدودي هازّة وجهي كأنها تُكلّم طفلاً : حسناً اطمئن .. لن أطيل يا عاشقي الولهان

و سارَت منصرفة .. هذه قصة مليئة بالعشق كما ترى و لا شيء سواه .. هذا ما يحدث عندما يتزوج هائمان من بعضهما

الواقع كل ما أحتاجه موجود في هذه الإنسانة .. جميع الصفات التي أريدها خُلقَت هاهنا .. الحنان .. الطفولة .. الرقّة .. البراءة .. الصدق .. الوفاء .. الطِيبة .. العقل .. الذكاء .. إلخ

إني لأعشق كل خطوة تمشيها .. لا أدري ربما تجاوزتُ مرحلة العشق و الهيام لأصل لمراحل جديدة تماماً على القلب البشري و النفس الإنسانية

رنّ الهاتف فأسرعتُ بالإجابة

- الو
- هل أنت يونس ؟
- نعم هذا أنا
- زوجتك بالمستشفى و قد تعرّضَت لحادث سير

انحلّت أطرافي و انهار جسدي أرضاً .. لم يعد جسدي يحملني هل .. هل ما سمعتُه صحيح ؟ لا هذا غير ممكن .. أسيل لن تموت .. هي خالدة لن تموت

أسرعتُ إلى المشفى و قد أُبلِغتُ بكونها تجري عملية مستعجلة لقد صدمتها سيارة !! ما كان يجب أن أسمح لها بالذهاب.

يا إلهي .. لم نصدّق أننا تزوجنا حتى تصدمها سيارة !

لا أستطيع العيش و هي تحت التراب .. إن كانت سترحل سأرحل معها .. نعيش سوياً فوق الأرض أو نعيش (سوياً) أسفلها .. لا خيار ثالث

انتظرت و توالت الثواني تِباعاً حتى ..

خرجَت الطبيبة من العملية قائلة : زوجتك بصحة جيّدة و تمت العملية بنجاح

ابتسمتُ و زفرتُ بارتياح

فأردفَت قائلة : و لكن هناك خبر غير سار

شدَّت انتباهي إليها بعينين مترقبتين تسألانها (ما الخبر ؟)

- أُصيِب النخاع الشوكي لديها بضرر بالغ لذا .. أصيبَت زوجتك بالشلل

وقعَت كلماتها عليّ كانسكاب الزيت على النار .. أسيل مشلولة !! هذا لا يُصدّق .. لا يمكن

لا أصدقها .. هرعتُ إلى الغرفة لأراها . كانت نائمة على السرير ، لا لن تُشلّ تستطيع الحراك أنا واثق

انتظرتها حتى تستيقظ و تفتح عينيها

- ماذا حدث

أمسكتُ بيدها أقبّلها : حادث .. حادث سير .. كيف تشعرين

- لا أدري .. إحساس غريب كأنني غير قادرة على تحريك جسدي

* * *

دلفتُ البيت جارّاً كرسيّاً متحركاً جلست عليه أسيل .. كلّما نظرتُ لها لُمتُ نفسي لسماحي لها بالذهاب

قالت : كيف سأتدبر أمر المنزل الآن

جثوتُ على ركبتيّ لأجذب جسدها نحو صدري و أقبّلها على رأسها : لن تحتاجي لفعل شيء .. سأتدبر الأمر بنفسي

قالت و قد ترقرقَت العَبرات في عينيها :

- ألن تتزوج غيري . لا أستطيع تلبية رغباتك و لن أقوم بواجبي تجاهك بعد الآن
- ماذا تقولين !! أأنتِ مجنونة .. أنتِ أنتِ مهما حصل حتى و إن _ لا قدّر الله _ أصبحت ألف ألف قطعة

لم أستطع كبت دموعي لمزيد من الوقت فراحت تتلاحقُ شهقاتي و مدامعي عليها .. ظنّت أني أبكي لأنها لن تكون كما أريد لكنّي أبكي لحالتها .. لا أستطيع احتمال قهرها .. ربما في بعض الأحيان أغضب منها غضباً جمّا و أبدأ بإلقاء كلمات جارحة ذات معنى غير حقيقي ناتجة عن غضبي .. لكني سرعان ما أشعر بإحساس يجعل يومي بكامله مشؤوماً و هذا لأني (جرحتها) .. لا أستطيع احتمال فكرة جرحها بسببي .. لهذا أرجو منها مهما غضبتُ و فعلتُ أشياءاً و ألقيت بكلمات قبيحة . أرجوها أن تسامحني و أن تذكر أنّي لا أعني ما قلته البتّة .. إني لأجنّ لحزنكِ و أموت

سأبقى معها و لن أتركها .. لا حاجة للعمل ، الشيء الوحيد المهم هو أسيل لا شيء سواها

بقيتُ في الأيام التالية إلى جانبها و كنت أشعر بحالتها النفسية تسوء بالرغم من كل العناصر الترفيهية التي جلبتها و جميع المشاعر التي أبثّها . لكنها حزينة جداً و لم تستطع الاعتياد على هذا الوضع الجديد

كنتُ أعدّ الغداء بينما وضعتُ أسيل معلّقة على ظهري

وجدتُ شيئاً على الانترنت لوضع الأطفال الصغار على الظهر دون حملهم و قد اشتريتها و وضعت أسيل فيها لترافقني أينما ذهبت .. إضافة لإمكانية وضع أسيل على الصدر و البطن بدلاً من الظهر ليصبح وجهي بوجهها .. كان كل ما عليها فعله

و هي هناك أن تسند رأسها إلى كتفي أو تدّب بها الحميمية لتبدأ بتقبيلي

في الحقيقة كنت أشعر بكونها قد انطفأت .. لم تعد كما كانت . أصبحَت طاقتها الطفولية منخفضة و حماستها لخوض مزيد من التجارب إلى جانبي قد قلّت .. حدّثتني كثيراً عن كوابيسها

و عن عدم رغبتها بالعيش

حدّثتني كيف صدّتها جميع صديقاتها و معارفها و كم تحدّثوا عنها سرّاً .. لم يبقوا كلمة سيئة و لم يتفوّهوا بها لدرجة أنهم آمنوا بكون الشلل عقاب من الله لها على خيانة كانت تفعلها سرّاً وراء ظهري ..

لفّقوا جميع الأكاذيب و التهم بكامل سوئها و قبحها دون أدنى خشية من ربهم .. إن الناس لبشعون فوق التصور و ألسنتهم لا تصلح سوى لتكون بلاطاً لجهنم .. لسان المجتمع قبيح و بشع لدرجة أن الشيطان استقال و لم تعد له كلمة مفيدة فقد حقّق الإنسان ما فوق المستوى الشيطاني بشكل ذاتي و تفوّق عليه شرّاً

لا أدري إن كان قد خُلق الإنسان من تراب و ماء فقط أم من تراب و ماء مع قليل من الجشع و القسوة و الحقد .. زمن الأنبياء و المرسلين انتهى و بدأ زمن الأبالسة ..

لم أرَ زوجتي متأثرة لهذه الدرجة من قبل .. كانت دائمة النوم

و قليلة الكلام .. حتى الابتسام نسَت معالمه و كيف يكون ..

ما دفعني للبقاء معها في السرير معانقاً جسدها طوال الوقت .. إلى أن قالت : لنرحل

فهمت ما ترمي إليه بشكل تلقائي لأنني و لسبب ما انطفأت روحي أيضاً عندما انطفأَت هي .. رددتُ عليها بهدوء هامساً :

- لقد حان وقتنا يا عزيزتي الصغيرة .. اكتفينا من هذه الدنيا

و نهضتُ من السرير لأبحث عن إبرٍ حاقنة .. و قد وجدتها فأحضرتُ اثنتين لأملئها بسائل أبيض اللون من زجاجة حضّرتها سابقاً

عدتُ للسرير و قد أطفأتُ الأنوار لأدع بصيصاً خافتاً من الضوء يتسرب من إحدى النوافذ

قلت لها :

- لقد أرسلتُ لأهلنا و لجميع من نعرفهم بأننا سنسافر لمكان ناءٍ لبعض الوقت .. ليتركونا و شأننا بعض الأيام هنا

- حسناً .. هيّا افعلها

أمسكتُ بإحدى الإبر و حقنتُها بيدها و من ثم حقنتُ نفسي .. غطيّت جسدينا باللحاف و جذبتها إليّ لأعانقها متشبثاً بجسدها تشبثاً .. كنتُ أشعر بأنفاسها الدافئة تتصادم برقبتي .. رحتُ

ألامس شعرها بيدي بشكل بطيء .. و أهمس في أذنها : لنرحل ببطء .. سويةً .. لنغادر بسلام .. العالم لم يعد لنا .. و لم يعد فيه مكان لنا لقد انتهى دورنا .. و انتهت قصتنا

قالت بهمس دافئ : أحبّك

أجبتها و أنا أشدّ عليها العناق : و أنا أعشقك

سَرت رعشة في جسدي و بدأتُ أشعر بتباطئ بأنفاسي و دقّات قلبي .. و تلك العينان تنام بهدوء .. رويداً رويداً .. سنغيب .. سنغادر .. سنرحل .. بسلام .

تـمَّـت